Sana'a University Journal of Human Sciences مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 4 | No. 12 | Page 353 – 377 |2025 https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

Ibn Ḥajar al-ʿAsqalānī and His Two Journeys to Yemen in the Years 800 AH / 1397 CE and 806 AH / 1403 CE

Hamood Abdullah Yahya Al-Ahnoomi [1,*]

[1] Faculty of Education - Sana'a University, Sana'a, Yemen.

***Corresponding author:** *h.alahnoumi@su.edu.ye*

Keywords

1. Ibn Ḥajar al-ʿAsqalānī
2. Yemen
3. Scholarly travel
4. Zaydism

Abstract:

This study aims to trace the routes of Ibn Ḥajar al-ʿAsqalānī's two journeys to Yemen, analyzing their motives and their impact on his scholarly formation. It highlights the scholars he met, the intellectual centers he visited, and the role of these journeys in strengthening academic ties between Egypt and Yemen. The research employs the historical descriptive–analytical method.

Main findings:

The study reveals that Ibn Ḥajar's scholarly motives intersected with commercial interests during his two journeys, and that Rasulid Yemen provided a vibrant intellectual environment marked by tension between jurists and monist Sufis. The journeys mainly revolved around Zabīd, Taʿizz, and ʿAdan, where Ibn Ḥajar met leading Yemeni figures such as al-Majd al-Fayrūzābādī, al-Nafīs al-ʿAlawī, Ibn al-Khayyāṭ, al-Maqrī, and the Rasulid sultan.

The trips yielded reciprocal transmission of ḥadīth permissions and audition certificates, and saw the beginning of his compilation al-Majmaʿ al-Muʾassis in ʿAdan. Their influence is reflected in Fatḥ al-Bārī and other works, through his broader and more appreciative perspective on the Zaydis and their imams. The journeys deepened Ibn Ḥajar's scholarly network, expanded his critical outlook, and created an important intellectual bridge between Egypt and Yemen that underscores their enduring civilizational connection.

Key recommendations:

To conduct a comparative study between Ibn Ḥajar's writings on Yemeni Zaydism and the sectarian polemics of modern times; to undertake rigorous academic studies on the historical and cultural relations between Yemen and Egypt and their mutual impact; and to compile a biographical lexicon (database) of all the scholars Ibn Ḥajar encountered in Yemen.

Sana'a University Journal of Human Sciences مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 4 | No. 12 | Page 354 – 377 | 2025 https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

ابن حجر العسقلاني ورحلتاه إلى اليمن في عامي 800هـ/ 1397م و806هـ/ 1403م

حمود عبد الله يحيى الأهنومي [1]*،

[1] كلية التربية - جامعة صنعاء ، صنعاء ، اليمن.

المؤلف: *h.alahnoumi@su.edu.ye*

الكلمات المفتاحية

١. ابن حجر العسقلاني
٢. اليمن
٣. الرحلات العلمية
٤. الزيدية

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تتبّع مساري رحلتي الحافظ ابن حجر العسقلاني إلى اليمن وتحليل دوافعهما وأثرهما في تكوينه العلمي، مع إبراز العلماء الذين لقيهم فيها والمراكز العلمية التي دخلها، ودور الرحلتين في توثيق الصلات العلمية بين مصر واليمن. اعتمد البحث المنهج التاريخي الوصفي التحليلي.

أبرز النتائج: اتضح تلاقي الدوافع العلمية بالتجارة عند ابن حجر في رحلتيه، وأن اليمن (الرسولية) وفّرت بيئةً علميةً نشطة مع صراع بين الفقهاء والمتصوفة الاتحادية. تمحور مسار الرحلتين حول زَبيد وتعِزّ وعدن، وأنه التقى بشخصيات يمنية محورية كالمجد الفيروزآبادي والنفيس العلوي وابن الخياط والمقري والسلطان الرسولي. أثمرت الرحلتان تخريجاتٍ وسماعاتٍ متبادلة، وابتداءَ تدوين كتابه (المجمع المؤسِّس) بعدن، وانعكس أثرهما في كتاباته في (فتح الباري) وغيره بتوسّع نظره في الزيدية والثناء على أئمتهم. عمّقت الرحلتان شبكة علاقات ابن حجر ووسّعت أفقه النقدي، وشكّلت جسرا علميّا مهما بين مصر واليمن يمكن المساهمة به في تأكيد العلاقات الحضارية.

أبرز التوصيات: إجراء دراسة مقارنة بين ما كتبه ابن حجر عن الزيدية في اليمن، وما يكتبه المتعصبون اليوم، وتنفيذ دراسات علمية عن العلاقات اليمنية المصرية التاريخية والحضارية وأثرها على البلدين، وبناء معجم يتضمن قاعدة بيانات لجميع الأعلام الذين لقيهم في اليمن.

المقدمة:

يُعَدُّ الحافظ ابن حجر العسقلاني (773 – 852هـ / 1372- 1449م) أحد أبرز أعلام القرن التاسع الهجري، وركنًا مهما من أركان المدرسة الحديثية في الإسلام، حيث امتاز بسعة علمه وتنوع معارفه، وخاصة في علوم الحديث ورجاله والتاريخ. وقد ارتبط اسمه بمصر والحجاز والشام، غير أنّ رحلتيه إلى اليمن شكّلتا مرحلة مهمّة في أثره العلمي في اليمن؛ إذ التقى هناك بكبار العلماء، ونسخ عدَدًا من الكتب، وأجاز وأُجيز، مما أثّر لاحقًا في نضجه العلمي وإنتاجه العلمي الغزير.

يفترض أن تكشف دراسة رحلتي ابن حجر إلى اليمن في عامي 800هـ/ 1397م و806هـ/ 1403م أبعادًا معرفية وحضارية في اليمن، وأن تلقي الضوء على العلاقات العلمية بين مصر واليمن في العصر المملوكي والرسولي، كما تُبْرِز إسهام اليمن في رفد الحركة العلمية الإسلامية آنذاك.

أولا: أسباب ودواعي البحث

1-ندرة الدراسات المتخصصة التي تناولت بالتفصيل رحلتي ابن حجر إلى اليمن.

2- التعرف على الدور العلمي لليمن في تكوين شخصية ابن حجر وتطوّر معارفه، والأثر الذي خلّفته هاتان الرحلتان في اليمن.

3-إظهار التفاعل الثقافي بين الحواضر الإسلامية المعرفية في القرن التاسع الهجري، لا سيما في عصر الدولة الرسولية في اليمن.

ثانيا: أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في كونه:

1-يسلط الضوء على الجوانب غير المعروفة من سيرة ابن حجر العسقلاني، وهو أحد أبرز كبار العلماء المسلمين الذي ترك تراثا ضخما في عصره.

2-يساهم في توثيق الصلات العلمية بين علماء اليمن ومصر في العصر الرسولي والمملوكي ودور الدولة الرسولية في رعاية العلم.

3-يعيد قراءة الرحلات العلمية بوصفها طريقة سائدة ومهمة لنقل المعرفة وتطويرها، ويقدّم نموذجًا هامًّا للرحلات العلمية التي كانت سائدة في العصور الإسلامية.

4-يثري المكتبة التاريخية بتقديم مرجع للباحثين في التاريخ والحديث والحضارة الإسلامية في الرحلات العلمية عموما وفي رحلتي ابن حجر إلى اليمن خصوصا.

ثالثا: مشكلة البحث

ينطلق هذا البحث من سؤال رئيس وأسئلة فرعية وعلى النحو التالي:

السؤال الرئيس: ما طبيعة رحلتي الحافظ ابن حجر العسقلاني إلى اليمن، وما أثرهما في تكوينه العلمي، وفي توثيق الصلات العلمية بين اليمن وبقية الحواضر الإسلامية في القرن التاسع الهجري؟

الأسئلة الفرعية

1-من هو ابن حجر العسقلاني من الناحية الشخصية والعلمية؟

2-من أبرز شيوخه الذين أثَّروا عليه في الرحلات؟ وما أبرز إنجازاته العلمية؟

3-ما الدوافع التي دفعت ابن حجر للقيام برحلتيه إلى اليمن؟

4- ما أوضاع اليمن السياسية والعلمية والفكرية التي شكّلت البيئة المستقْبِلة لابن حجر؟

5-ما المسار الجغرافي والعلمي لرحلتيه، وما أبرز المدن والمراكز التي زارها؟ ولماذا اقتصر عليها؟

6-من أبرز العلماء الذين لقيهم ابن حجر في اليمن؟ وما طبيعة العلاقة العلمية التي نشأت بينه وبينهم؟

7-ما الكتب والمصنفات التي ألفها ابن حجر في اليمن؟ وما الكتب والمصنفات التي وقف عليها في اليمن أو نسخها فيه أو نقلها منه؟

8-كيف انعكس أثر تلك الرحلتين في تكوينه العلمي ومؤلفاته اللاحقة؟

9-كيف عرض ابنُ حجر نفسُه أخبارَ رحلتيه في مؤلفاته، وما أبرزُ الحالاتِ العلمية اليمنية التي وثَّقها؟

10-كيف أسهمت هاتان الرحلتان في تعزيز التواصل العلمي بين اليمن ومصر في العصر المملوكي–الرسولي؟

رابعا: أهداف البحث

1-تحديد مسار رحلتي ابن حجر إلى اليمن وتتبع وقائعها ومواقعها وتعليل ذلك.

2-بيان طبيعة وأثر الرحلتين في نضجه العلمي وإنتاجه التأليفي.

3-إبراز العلماء الذين لقيهم ابن حجر والمراكز العلمية التي رحل إليها في اليمن.

4-دراسة أثر هاتين الرحلتين في الحركة العلمية اليمنية والمصرية.

5-سد الفجوة البحثية في هذا الجانب من الدراسات التاريخية.

خامسا: منهجية البحث

اتبع البحث منهج البحث التاريخي الوصفي التحليلي لدراسة الأحداث والتراكيب الاجتماعية والسياسية المرتبطة برحلتي ابن حجر العسقلاني والوصف التحليلي للنصوص المتعلقة بها.

سادسا: الدراسات السابقة

بعد البحث في مظانِّه لم يطلع الباحث على دراسة متخصصة مستقلة تركز على رحلتي ابن حجر العسقلاني إلى اليمن من جميع الجوانب التاريخية والعلمية، وما كُتِبَ من دراسات علمية ركّز إما على ازدهار العلم في اليمن في عصر الدولة الرسولية، أو على حياة ابن حجر العسقلاني ومؤلفاته بشكل عام، ولم تتعمّق أيٌّ منها في رحلتيه إلى اليمن بشكل مفصّل، بل أشارت إشارة جُمْلية إليهما عرضًا ضمن مسيرته العلمية.

ولعل أبرز الدراسات التي يمكن الحديث عنها في هذا السياق، هي:

-دراستا محمد كمال الدين عزالدين علي بعنواني (ابن حجر العسقلاني مؤرخا)[1]، و(التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلاني)[2]، وهاتان الدراستان يتضح أنهما درستا ابن حجر من حيثية كونه مؤرّخا وعلاقته بالتاريخ والمنهج التاريخي، وعرضتا رحلتيه إلى اليمن عرضا عاما، ومختصرا، بدون تحليل ولا مقارنة في سياق الهدف الذي يخدم عنوان الدراستين.

سابعا: مكوناته

يتكون هذا البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

تشتمل المقدمة على أسباب ودواعي البحث، وأهميته، ومشكلته البحثية، وأسئلته، ومنهجيته، والدراسات السابقة.

ويشتمل المبحث الأول على التعريف بابن حجر العسقلاني، من حيث حياته الشخصية، والعلمية، وولايته للقضاء، ومذهبه، ووفاته على النحو الذي يتعلق برحلتيه إلى اليمن.

ويشتمل المبحث الثاني المعنون بـ(رحلتيه إلى اليمن) على التمهيد عن رحلاته إلى غير اليمن، ثم عوامل وأسباب رحلتيه إلى اليمن، ووضع اليمن السياسي والعلمي والفكري، وأبرز فروع العلم في اليمن، ووقائع رحلته الأولى إلى اليمن، ووقائع رحلته الثانية إلى اليمن.

ويشتمل المبحث الثالث، الذي هو بعنوان (دراسة وتحليل الرحلتين وأثرهما في كتابته عن اليمنيين) على تحليل تلك وقائع رحلتيه وتفسيرها، وعرض مجمل لنشاطات رحلتيه، وعلاقته بالقضاء في اليمن، وأثر رحلتيه إلى اليمن على كتاباته عن الزيدية.

المبحث الأول: التعريف بابن حجر العسقلاني

أولا-حياته الشخصية

1-نسبه وأسرته: هو أحمد بن علي بن محمد المصري العسقلاني الكناني الأصل. وجدُّه، والد والده، هو العدل قطب الدين محمد بن محمد العسقلاني، سمع الحديث من جماعة من الشيوخ، وأجيز من آخرين، وتوفي سنة 741هـ/1340م[3].

أما والده فهو نور الدين علي بن محمد بن محمد، المولود في حوالي 720هـ/ 1320م، نشأ محبا للعلم، وسمع الحديث، ومهر في الفقه والعربية والأدب، وأجيز بالفتوى ومارس القضاء بالنيابة[4].

وأما أمُّه فهي تجار بنت أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الزفتاوي، أخت صلاح الدين أحمد الزفتاوي التاجر الكارمي[5]، و(الكارمية) لقبٌ أطلق على كبار التجار الذين نشطوا في تجارة البهار والفلفل في المحيط الهندي والبحر الأحمر ومصر منذ أيام الفاطميين، رغم أن اشتقاق لفظة (الكارمي) اللغوي لا يزال قيد التكهن والاستنباط[6]، وهذا يفيد أن أمه كانت من طائفة التجار، بل صرّح ابن حجر نفسه بأنها كانت غنية[7]، وهو أمر من الأهمية بمكان؛ إذ انعكس غنى أمِّ ابن حجر على حياته نفسه[8]؛ إذ ساعده على تنفيذ نشاطاته ورحلاته العلمية.

2-مولده ونشأته: ولد ابن حجر في شعبان من سنة 773هـ/ فبراير 1372م. وتربى في سنيّه الأربع الأولى في كنف والده، الذي كان كثير الحج والأسفار[9].

توفي الأب في رجب سنة 777هـ/ ديسمبر1375م وعمر وليده الصغير يكاد أن يفي بالرابعة، فضمّه إليه أحدُ أوصيائه وصديقُ والده كبيرُ تجار مصر زكي

(1) طبع طبعته الأولى في بيروت، عالم الكتب، 1407هـ / 1987م.
(2) طبع طبعته الأولى في بيروت، دار اقرأ، 1404هـ/ 1984م.
(3) المقريزي، 1997م، ج4 ص395؛ والسخاوي، 1999م، ص106.
(4) ابن حجر، 1969م، ج1 ص116-117، 358؛ والسخاوي، 1999م، ج1 ص107- 108.
(5) السخاوي، 1999م، ص116.
(6) حبيب، 2000م، ص44-45.
(7) ابن حجر، 1992م، ج1 ص443.
(8) ابن حجر، 1969م، ج2 ص333-334.
(9) ابن حجر، 1992م، ج1 ص354.

الدين أبو بكر بن علي بن أحمد الخروبي (ت787هـ/1386م)[10].

ولما أكمل الخمسَ السنين دخل المكتب فقرأ القرآن، وأكمل حفظه وعمره تسع سنين، وفي هذه المرحلة من عمره بادر مبكِّرًا لمطالعةِ كُتُبِ التاريخ والتراجم، وعلق بذهنه الصافي كثيرٌ من تراجم الرجال وأحوالهم وأخبارهم[11]، وهو ما يعكس همة عالية ونزوعا مبكرا نحو العلم والمعرفة، ويفسر ذلك الاطلاع الواسع الذي ظهر عليه في ما بعد.

3-أوصافه الخِلْقية والخُلُقية: كان ابن حجر رَبْعَة[12] أبيضَ اللون، منوَّرَ الصورة، صحيحَ السمع والبصر، قويَّ البنية، عاليَ الهمة، خفيفَ المِشية، ذا رشاقةٍ زائدة، مع سكونٍ ووقارٍ وأبّهةٍ وثباتٍ[13]. وتلك صفات تنبئ عن صحة جسمانية تمتع بها ابن حجر ونجى بها من الطواعين والأوبئة التي فتكت بالشعب المصري آنذاك، كما أعانته على الرحلات العلمية إلى اليمن والحجاز والشام ومصر كما سيأتي.

أحب وطنه (القاهرة) حبا عارما، حتى أنه كان لا يخشى شيئا - بعد أن ساءت العلاقة بينه وبين السلطان جقمق[14] - إلا أن يبعده السلطان عن وطنه[15]، هذا الحب لعله هو الذي منعه عن قبول عروضٍ مغرية مثل تولي القضاء في الشام أو في اليمن، وهو أيضا الحب الذي لم يدَعْه يخرج من بلده بعد رحلاته العلمية إلا في مرات نادرة[16].

كان لديه تأثر ونوعُ اعتقادٍ بالصوفية[17] ورجالها، رغم تكفيره لفلاسفة المتصوفة كابن عربي (ت638هـ/ 1240م) وابن الفارض (ت632هـ/ 1235م)، كما سيأتي في الحديث عنهما في المبحث الثاني، ورغم رأيه القائل ببطلان ما يسمى بـ(خرقة التصوف)[18].

وكان كغيره من العلماء في مصر تحت الحكم المملوكي العسكري لا يخرج عن المعادلات المتعارَف عليها حول علاقة العلم والعلماء بالسياسة والحكام، وقد اكتفى كثير منهم بالمجاملة لأولئك الحكام، وسكتوا عن مظالمهم، وغضوا الطرف عنهم[19].

4-وضعه المادي: لم يعان ابن حجر من ضائقة مالية فقد كان ميسورًا في كل أوقاته، فهو الذي ينحدر إلى أسرة كارمية كما تقدم، ويبدو أنه ورث عن أبيه مالا جزيلا، انتفع به واستطاع أن يتفرّغ للعلم بسببه، وأن يقوم برحلاته العلمية في مختلف مراكز العلم كما يأتي بدون أية صعوبة مالية.

على أنه بعد زواجه حصل أيضا على هدايا موسمية من رجال الدولة المملوكية، وهو لا يزال طالب علم[20]، أما بعد أن تولّى الوظائف التي كانت تدر معاليم[21] فإنه يكون قد أثرى ثراءً كبيرًا منها؛ لكثرة وظائفه التي تولاها. ومع ذلك فإن الحس التجاري لم يَغِبْ عنه طوال حياته[22]؛ الأمر الذي يدل على أن مصادر دخله كانت متنوعة وكثيرة.

ثانيا: حياته العلمية

1-دراسته: يمكن تقسيم مراحل أخذه العلم إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى وهي مرحلة التعليم الأساسي في المكتب، وفيها كانت رحلته إلى مكة ومجاورته للبيت الحرام سنة 784هـ و785هـ/1382 و1383م التي كانت - في نظري - هي المرحلة الفاصلة بين هذه المرحلة والتي تليها[23].

المرحلة الثانية: مرحلة التعمُّق في مجالات العلوم المختلفة، وفيها حفظ المختصرات في مختلف الفنون والعلوم، وحضر دروس الفقه وأصوله والعربية والحساب والفرائض، بالإضافة إلى كتب الحديث[24]، ثم انتقل إلى قراءة كتب المطولات في العلوم المختلفة[25]، وهو ما يشير إلى أنه ابتدأ دراسته من

(10) ابن حجر، 1969م، ج1 ص261، 306.
(11) ابن حجر، 1998م، ص60.
(12) وسطا لا طويل القامة ولا قصيرها.
(13) السخاوي، 1999م، ص1053-1059؛ 1029-1038.
(14) ولي السلطنة على المماليك بعد وفاة برسباي سنة 841هـ/1437م، عرف عنه تديُّنُه واعتداله فحرّم المعاصي وشرب الخمور، لكنه كان على علاقة مضطربة مع عالمنا ابن حجر، وقد توفي سنة 857هـ/1453م (ابن حجر، 1969م، ج4 ص94، 234، 235؛ والمقريزي، 1997م، ج7 ص382).
(15) السخاوي، 1999م، ص1006.
(16) ابن حجر، 1998م، ص156.
(17) سيأتي التعريف بالصوفية والتصوف الفلسفي إن شاء الله تعالى في المبحث الثاني.
(18) السخاوي، 1999م، ص940، 1186. والخرقة هي: القطعة من الثوب الممزّق. وفي الاصطلاح الصوفي: هي ما يلبسه المريد من شيخه الذي دخل في إرادته. ويرى الصوفية أن في لبسها معنى المبايعة، وأنها تمثل عتبة دخول المريد في صحبة الشيخ الذي يتولى تربيته وتهذيب أخلاقه وتقويم سلوكه (مدكور، د.ت، ج1 ص134).
(19) ابن حجر، 1969م، ج3 ص281، والسخاوي، 1999م، ص1026.
(20) السخاوي، 1999م، ص983.
(21) المعلوم، وتجمع على معاليم: لفظة شائعة في العصر المملوكي وتعني الراتب الذي يُعَيَّن لصاحب الوظيفة مقابل عمل محدد يقوم به (السخاوي، 1999م، ص983-985).
(22) السخاوي، 1999م، ص983، 985.
(23) ابن حجر، 1969م، ج2 ص80-81.
(24) السخاوي، 1999م، ص124.
(25) ابن حجر، 1992م، مج3 ص292؛ و1969م، ج3 ص116-117.

المختصرات في هذه المرحلة ثم انتقل إلى المطولات فيها.

المرحلة الثالثة: مرحلة التخصص، وبدأت سنة796هـ/1393م عندما عقد العزم على ملازمة حافظ عصره في الحديث الزين العراقي[26]، وقد تخصّص في هذه المرحلة في علم الحديث شأنُه شأن شيخه العراقي[27]، وفيها قام بأغلب رحلاته العلمية إلى مراكز العلم المختلفة في مصر والشام واليمن والحجاز، والتقى بأشهر شيوخ عصره الذين حظي بهم، وألف جل كتبه ومؤلفاته حتى وفاته.

2-شيوخه: تتلمذ على عددٍ كبير من الشيوخ الذين ضمّنهم كتابه (المجمع المؤسس)، ومن أبرزهم:

1-سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير الكناني البلقيني، انتهت إليه رئاسة الفقه، ودرّس بمدارس كثيرة في القاهرة، وولي إفتاء دار العدل، وكانت له رحلات إلى الشام وولي القضاء فيها فترة، توفي هذا الشيخ سنة805هـ/1402م[28].

2-زين الدين عبد الرحيم بن الحسين المهراني، أبو الفضل العراقي، حافظ الديار المصرية وشيخها ومسندها بلا منازع، ولي قضاء المدينة المنورة لأكثر من ثلاث سنين، ورحل لطلب العلم والحديث مرات إلى دمشق وحلب والحجاز، وأراد الدخول إلى العراق ففترت همّته من خوف الطريق، ورحل إلى الإسكندرية، ثم عزم على التوجّه إلى تونس فلم يتم له ذلك، وتخرّج عليه أغلب المحدثين في علم الحديث، لازمه ابن حجر (من796هـ/1393م – إلى سنة805هـ/1402م)[29].

3-ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي، أبو زيد المالكي، ابن خلدون، أصله من أشبيلية، ولد ونشأ في تونس، ورحل إلى المغرب، والأندلس، وبجاية، ثم تلمسان، ثم بسكرة ثم فاس ثم عاد إلى الأندلس، ثم رجع إلى تلمسان، ثم ارتحل إلى تونس، ثم اجتاز البحر إلى اسكندرية والقاهرة سنة784هـ/1382م حاجًّا فقضى حجه وعاد إليها، فأقبل عليه المصريون ترحيبا وإكراما واستفادة، وعقد مجلس العلم في جامع الأزهر في أصول الفقه، وقد ولي قضاء المالكية هناك مرات[30].

4-مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي، الإمام اللغوي أبو الطاهر الفيرزآبادي، ولد سنة729هـ/ 1328م بشيراز[31]، وتفقه وسمع ببلاده، وتخصص في اللغة فصار إمامها، وجال في مراكز العلم في العالم الإسلامي، فقد دخل الديار الشامية في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري فسمع بها، ثم دخل القاهرة، ثم جال في البلاد الشمالية والمشرقية، ودخل الهند، وعاد منها على طريق اليمن قاصدًا مكة ودخل زبيد، ورُزِقَ الحظوة والتكريم لدى جميع الحكام الذين رحل إلى بلدانهم، فصار عالِما عالَميا، لكنه استقرَّ به النوى في اليمن؛ إذ عيّنه الأشرف الرسولي[32] قاضي قضاة اليمن خلفا للإمام الريمي[33]، واستمر قاضيا هناك للأشرف ثم للناصر[34] حتى مماته سنة817هـ/1414م وقد أغدق عليه الرسوليون الأموال، وألف كتبا كثيرة في اللغة والتفسير والجغرافيا، وأشهر مؤلفاته (القاموس المحيط)، انتقده ابن حجر بتضمينه آراء (ابن عربي) الصوفية الفلسفية مراعاةً لبعض أتباعه في زبيد.

وجّه ابن حجر في كتابيه (المجمع المؤسس) و(إنباء الغمر) نقدًا لادعاء شيخه الشيرازي بأنه من نسل أبي إسحاق الشيرازي صاحب التنبيه، ثم لادعائه أيضا أنه من نسل أبي بكر (الخليفة)، كما استغرب منه تصديقه أكذوبة رتن[35] الهندي ودعواه الصحبة لرسول الله؛ لأنه قد دخل قريته في الهند، وفندها تفنيدا قطعيا[36].

---

(26) ابن حجر، 1992م، مج2 ص180-181، 188. والزين العراقي سيأتي التعريف به قريبا.

(27) السخاوي، 1999م، ص128.

(28) ابن حجر، 1992م، مج2 ص318، 492-308؛ و1969م، ج2 ص245-247.

(29) ابن حجر، 1992م، مج2 ص176-185؛ و1969م، ج1 ص49، ج2 ص275-279.

(30) ابن حجر، 1998م، ص234-237؛ و1992م، مج3 ص157-160؛ و1969م، ج2 ص339-340.

(31) مدينة كانت عاصمة بلاد فارس وتقع في الجنوب الشرقي من إيران (الحموي، د.ت، ج3 ص380).

(32) إسماعيل بن العباس بن الأفضل بن المجاهد علي، ولي سنة 778هـ ومات سنة 803هـ.

(33) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الريمي، من كبار علماء اليمن، وتخرج على يديه طلاب كثيرون، وله (التفقيه شرح التنبيه) لأبي إسحاق الشيرازي في الفقه الشافعي، وكان مقدَّمًا عند السلاطين آل رسول، توفي سنة 792هـ. (الخزرجي، 1914م، ج2 ص218؛ وابن حجر، 1993م، ج3 ص486؛ و1969م، ج1 ص407-408).

(34) الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل تولى السلطنة بعد وفاة أبيه سنة 803هـ وتوفي سنة 827هـ.

(35) رجل هندي ادعى أنه من صحابة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأنه طال به العمر حتى أدرك القرن السادس الهجري، وقد أحسن ابن حجر حين أنكر هذه الخرافة بتاتا مستندا إلى حديث صح لديه، وحمل رواية الفيروآبادي أنه رآه في قرية في الهند وأنه رأى خلقا يشهدون عن أسلافهم ما يصحح قصته على أنه طال به العمر فحسن لديه أن يدعي الصحبة، وللأسف فقد مرر هذه القصة المنكرة بعض المؤرخين اليمنيين، وانطلت على الإمام الفيروزآبادي وعلى المؤرخ الصفدي (ابن حجر، 1412هـ، ج2 ص523- 538).

(36) المقريزي، 2002م، ج3 ص173-177؛ وابن حجر، 1992م، مج2 ص547-553؛ و1969م، ج3 ص47-50.

لقد عدّ ابن حجر في معجم شيوخه حوالي 730 شيخا صنّفهم إلى نوعين: شيوخ الرواية، وشيوخ الدراية، بلغ عدد شيوخ الرواية 280 شيخا، وبلغ عدد من أجازوه إجازة عامة 97 شيخا، وبلغ عدد شيوخ الدراية 353 شيخا، وهذا يدل على أهمية رحلاته العلمية في تكثير شيوخه وشيخاته ولا سيما في الحديث، لقد عاش ابن حجر في عصر يتباهى علماؤه بكثرة شيوخهم، مع أن بعضا منهم ما سمع منه إلا حديثا واحدا، أو فائدة علمية واحدة[37].

وبالنظر إلى ما مر يتبيّن جذور ولع ابن حجر بالحديث وما يتعلق به من التاريخ ومعرفة الرجال في شيوخه الذين كانوا أشهر حفاظ عصره بالحديث وعلم الرجال، وهم الذين كان أبرزهم قد رحلوا إلى البلدان طلبا للعلم، والحديث، وللأسانيد العالية، والإجازات، وهذا ما حدا به إلى أن يسلك مسلكهم، وينحو نحوهم في الرحلات، كما سيأتي.

3-تلامذته وطلابه: عدَّ السخاوي له أكثر من 600 تلميذ وطالب، غير أن بعض هؤلاء التلاميذ والطلاب لم يقرأ عليه سوى حديث واحد[38]، على أن ابن حجر لم يكن يدخل بلدا إلا ويتتلمذ عليه من أهله أعلامُه، وسيأتي لنا بعض تلامذته اليمنيين الذين تتلمذوا عليه في رحلتيه إلى اليمن؛ ولهذا كانوا على هذا النحو من الكثرة.

4-مصنفاته: تميّز ابن حجر بتعدد جوانب شخصيته العلمية تدريسا وإفتاء وقضاء وتأليفا بل وإكثارا في التأليف، ولهذا فقد خلَّف تراثا عظيما، يكشف عن مهارة فائقة في التأليف، وعن ذوق فني عال في الترتيب والتعامل مع مهارات التصنيف. وكان قد بدأ التصنيف في سنة 796هـ[39]، ثم بقي يؤلف إلى آخر عهده بالدنيا، وبلغت مصنفاته حوالي 282 عنوانا[40].

ثالثا: وظائفه التعليمية والإدارية

1-القضاء: كان ابن حجر متفرغا لطلب الحديث قبل نهاية القرن الثامن الهجري؛ ولهذا رفض عرض شيخه القاضي صدر الدين المناوي[41] عليه بتولي نيابة القضاء في الشام، ولعل هذا العرض وقع ما بين 796هـ و806هـ، وتلك كانت المرحلة الذهبية لطلبه العلم وقيامه برحلاته العلمية في مصر والشام واليمن[42].

ثم بعد اشتهاره بعلمه ومؤلفاته ولي القضاء في المحرم سنة 827هـ/ ديسمبر1423م لمّا قلده السلطان الأشرف برسباي، واستمر فيه حتى 25 جمادى الثانية سنة 852هـ/30 أغسطس1448م، تخلل هذه المدةَ عزلُه لمراتٍ تسع، وكان إجمالي تقلده لمنصب القضاء حوالي 21 سنة[43].

لم يكن ابن حجر بمفازة عن أهل عصره فقد حاول الحفاظ على هذا المنصب ولو ببذل الأموال للسلطان وكلّفه طائلا منها، وكان يدفع نصف ذلك البذل من ماله الخاص، والنصف الآخر من فائض الأوقاف، وكان يتأوّل لصرفها في هذا المصرف[44].

جدير بالذكر أنَّ بذل الأموال في شراء الوظائف والمناصب كان ظاهرة شائعة في العصر المملوكي، واعتمد تحديد الثمن للوظيفة على قدر المنصب وحجم الطلب[45]، ونقل السخاوي عن شيخه ابن حجر ما يُحَسِّن بذل المال في الحصول على منصب القضاء لأجل عزل مَنْ لا يستحقون، واعتبر فاعله مأجورا لا مأزورا، بل قد أورد ابن حجر الحكم الفقهي في هذه القضية بذاته في كتابه فتح الباري[46]، وهو وضع مؤسف أصاب القضاء بمقتل، وأسوأ منه التبرير الفقهي له، وما كان هذا ليحدث لولا سماح الفقهاء ولاية الولاة والملوك والسلاطين الظالمين والجهلة الأغبياء المفسدين.

2- التدريس والمشيخة: ولي ابن حجر التدريس في أكثر من 15 مدرسة في القاهرة منذ سنة 808هـ/1403م[47]، وتنقل بعد ذلك في عدد كبير من المدارس لتدريس الحديث والفقه والتفسير وغيرها حتى آخر حياته.

3- الإفتاء: ولي ابن حجر وظيفة الإفتاء سنة 811هـ/1407م واستمرت في يده حتى مات[48]. كما ولي الخطابة والإمامة لعدد من المساجد وأبرزها جامع الأزهر، وكذلك مشيخة بعض المدارس.

وقد عُرِضَتْ عليه وظائف إدارية أخرى فرفضها؛ منها العرض بتولي قضاء الشام وترغيبه بكثرة

---

(37) ابن حجر، 1992م، مج3 ص20، 29، 50، 56، 57، 290، 325.
(38) السخاوي، 1999م، ص1100، 1170، 1179.
(39) السخاوي، 1999م، ص670.
(40) عبدالمنعم، 1997م، ص168، 387-389.
(41) صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوي القاهري، قاضي الأقضية، أحبه الناس عند توليه القضاء لتودده إياهم وكان يتعاظم قبل توليه، ثم توفي غريقا أسيرا بأيدي المغول سنة 803هـ/1400م (ابن حجر، 1969م، ج2، ص181-182).
(42) السخاوي، 1999م، ص618.
(43) السخاوي، 1999م، ص620- 630، 633.
(44) السخاوي، 1999م، ص623.
(45) أحمد، 1979م، ص131.
(46) ابن حجر، 2001م، ج5 ص261.
(47) السخاوي، 1999م، ص589، 591.
(48) السخاوي، 1999م، ص600.

المعاليم[49]، ومنها السفارة إلى سلطان اليمن الناصر الرسولي[50] من قبل السلطان المؤيد شيخ المحمودي سنة 819هـ/1416م فاستعفى فأعفي عنها[51]؛ ولعله لمعرفته المسبقة بسلطانها وأهلها وعدم رغبته في مفارقة القاهرة حيث وطنه العزيز.

رابعا: مذهبه وآراؤه

تتفق مصادر عديدة في التأكيد على انتمائه الفقهي إلى الشافعية، لكن السخاوي عدّ له مسائل قليلة بيَّن فيها اختياره على خلاف قول الشافعية[52]. أما في العقيدة فيترجح أن ابن حجر كان لا يزال أشعريا في مجمل اعتقاده ككثير من شافعية ذلك العصر ولا سيما قضاتهم، وإن كان قد خالفهم في بعض المسائل أو في بعض المواقف المتشددة لبعضهم تجاه مخالفيهم من الحنابلة[53].

وأما موقفه العقدي من التصوف فقد كان يعتقد ولاية الأولياء من المتصوفة ممَّن يلتزمون تعاليم الكتاب والسنة[54]، غير أنه كان يرى أنّ تصوف الفلاسفة كابن عربي وابن الفارض ضلال مبين، ويحسن عنده لعنُهم، بل قال بكفرهم، وباهل على ضلالهم، ومن وجهة نظر حديثية لم يصحَّ لديه سند خرقة التصوف[55].

خامسا: وفاته

توفي ابن حجر ليلة السبت 18 ذي الحجة/17 فبراير1449م، وحضر جنازته عشرات الآلاف، غُصَّتْ بهم الطرقات، وحضرها السلطان والأمراء والعلماء والأعيان[56]، وبهذا طويت صفحة رجل عالم ملأ الدينا علما ومصنفات، وقطع عمره بالأسفار والرحلات طلبا للعلم، وكان أنموذجا للعالم المتميز بالجد والاجتهاد والمثابرة.

المبحث الثاني: رحلتاه إلى اليمن

تعد الرحلة العلمية للطالب أو العالم من بلده إلى بلد آخر بقصد طلب العلم أو لقاء الشيوخ أو تحصيل الكتب سمة من سمات التعليم في تاريخ الإسلام منذ صدره وإلى يومنا هذا، وقد مثّلت إحدى السمات البارزة في الحضارة الإسلامية، وأسهمت في توثيق العلم ونقله بين الأمصار.

لقد حث الإسلام على النَّفْر والرّحلة لطلب العلم؛ قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: 122]، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة»[57]، وقد أدرك التابعون أهمية الرحلة في طلب الحديث لدى من بقي من الصحابة لسماع الحديث، وفيه يقول سعيد بن المسيب: "إن كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد"[58].

ومنذ عصر التدوين اتسعت مقاصد الرحلة فلم تقتصر على الإحاطة علما بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل هدفت إلى تحصيل علو الإسناد، وقدم السماع، ولقاء الحفاظ والمذاكرة لهم، والاستفادة منهم، واشتملت إلى جانب الحديث على طلب العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية وغيرها من العلوم.

كما حرص طلبة العلم على الرحلة إلى المبرّزين من علماء الأمصار الإسلامية لسماع وقراءةِ مؤلفاتهم عليهم، واستجازتهم فيها، وللأخذ عليهم في أمهات كتب الفن والحصول على الإجازات بالرواية، رغبة في اتصال سلسلة السند، وتعدد طرق الرواية[59].

ومن العوامل التي شجَّعت الطلبة على الرحلة ما وفَّرْته نظم التعليم في الدولة الإسلامية من كفالة لطالب العلم، حيث المدارس وسكنها والأربطة وما تقدمه للغرباء، إضافة إلى انعدام الحواجز بين أقاليم الدولة الإسلامية، والتي تحد من انتقال العلماء والطلبة، وجرت العادة أن يبدأ طلبة العلم في الأخذ على شيوخ بلدهم، ثم يرحلون للأخذ على المبرّزين من علماء الأمصار الإسلامية الأخرى[60].

ويجد المتتبع لعلماء القاهرة، ومنهم كما مر لنا شيوخُ ابن حجر، أن البارزين منهم رحلوا إلى طلب العلم، وتنقّلوا بين مراكزه في العالم الإسلامي، ولا سيما إلى الشام والحجاز واليمن، ولم يكن ابن حجر العسقلاني إلا أحد هؤلاء العلماء الراحلين في طلب العلم.

---

(49) ابن حجر، 1969م، ج3 ص94-95.
(50) ستأتي ترجمته لاحقا.
(51) ابن حجر، 1969م، ج3 ص88.
(52) السخاوي، 1999م، ص965-967.
(53) الأهنومي، 2014م، ص72.
(54) السخاوي، 1999م، ص1046-1048.
(55) ابن حجر، 1993م، ج2 ص436؛ و1969م، ج3 ص177-178؛ والسخاوي، 1999م، ص940، 1046-1048.
(56) السخاوي، 1999م، ص1185، 1190- 1195.
(57) زيد بن علي، د.ت، ص383، برواية الإمام علي؛ وابن حنبل، 1999م، ج36، ص36 برواية أبي الدرداء.
(58) ابن سعد، 1968م، ج2، ص381.
(59) الخطيب البغدادي، 1403هـ، ج2، ص223.
(60) العبادي، 1995م، ص224.

أولا-عوامل وأسباب رحلات ابن حجر إلى اليمن وغيرها:

ساهمت عدد من العوامل والمقوّمات في قيام ابن حجر العسقلاني برحلاته العلمية العديدة، بما فيها رحلتاه إلى اليمن، ومنها:

1-الرغبة الذاتية لدى ابن حجر في اكتساب العلوم والشغف بها.

2-تأثره الواضح بأبرز شيوخه الذين رحلوا إلى بلدان عديدة لطلب العلم واستقصاء سماع الحديث.

3-بيئته التي نشأ بها المشجِّعة على العلم وعلى الرحلات العلمية.

4-طموحه الواسع في أن يكون رأسا في الحديث النبوي وحافظا كبيرا من حفاظه.

5-إيمانه العميق بأهمية وقته ووجوب توظيف كل أجزائه في العلم حلا وترحالا[61].

ويبدو أن عامل تأثره بشيوخه كان عاملا حاسما، لا سيما الحافظ العراقي، فقد تأثّر به تأثرا كبيرا دفعه إلى سلوك طريقته في العلم والحديث، ويظهر أن لتعرُّفه عليه أثرًا واضحا في تغيُّر مسار حياته وفي ارتباطه وشغفه بالعلم بطريقة منظّمة، حيث بدت طريقته في طلب العلم والحديث قبل التحاقه بالعراقي سنة 796هـ/1393م غير منظمة بخلافها بعد ذلك[62].

6-تشجيع بعض العلماء والشيوخ له على الرحلات وطلب الأسانيد العالية.

7-تيسُّر حالته المادية، كما تقدم.

8-كما أنه - وهو يحمل نفَس التاجر ومن أسرة التجار - كان يَهُونُ عليه خوضُ البحار وحملُ عصا التسيار في القفار، والبعدُ عن أنظار خلانه وذويه؛ لأنه كان قد تعوّد على ذلك منذ صغره.

ثانيا: وضع اليمن السياسي عند رحلتي ابن حجر

اقتسم المشهدَ السياسيَّ في اليمن خلال العصر الذي رحل إليه ابن حجر، وهو فجر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، دولتان رئيستان، هما الدولة الرسولية[63]، التي كانت تبسط سيطرتها على زبيد وتعز وعدن وما والاها، والدولة الزيدية[64]، التي كانت تبسط سيطرتها على المناطق الجبلية من ذمار جنوبا إلى صعدة ونجران وبعض المناطق في عسير والحجاز شمالا.

ولي السلطان الرسولي الأفضل العباس بن علي بن داود سنة 764هـ/1362م، وتوفي سنة 778هـ/1376م، وكان ملكا مشاركا للعلماء في عدة فنون من العلم، ونُسِبَتْ إليه عدة مؤلفات، وبنى عددا من المآثر في تعز[65].

وقد خاض السلطان الأفضل صراعات مسلحة مع الإمام الزيدي الناصر محمد بن علي بن محمد الهدوي (ولي الإمامة سنة 773هـ/1371م، وتوفي سنة 793هـ/1390م) الذي وسّع أنشطته العسكرية تجاه مناطق الرسوليين بعد استعادته صنعاء، فوصل بجيوشه إلى كلٍّ من عدن سنة 789هـ/1387م، وإلى زبيد سنة 791هـ/1388م، وقد وصف ابن حجر هذا الإمام بأنه كان "مهابا فاضلا عالما عادلا"[66].

ولما مات السلطان الأفضل خلَفَه ولدُه الأشرفُ الثاني إسماعيل (ت803هـ/1400م)، الذي قاوم هجوم الإمام الناصر في زبيد وغيرها؛ غير أنه ما إن توفي الإمام الناصر صلاح الدين بن علي سنة 793هـ/ 1390م وبويع ولده المنصور علي بن صلاح (ت840هـ/1436م) إمامًا حتى انشغل بعمليات استرداد نفوذه في المناطق المنتفضة ضده، ومنها مناطق ثار فيها منافسه الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (ت840هـ/ 1436م) الذي كان يرى أنه الأحق بالإمامة منه، غير أنّ الإمام المنصور استطاع القبض على الإمام المهدي، وإيداعه السجن بصنعاء[67].

وعلى خلاف والده فقد قَصَر الإمام المنصور أنشطته العسكرية على المناطق الجبلية والحفاظ على مملكته، ولم يقم بتحركٍ عسكري في تهامة ولا عدن ضد الرسوليين؛ الأمر الذي أكسبه رضا أهالي تلك المناطق الواقعة تحت حكم الرسوليين.

---

(61) السخاوي، 1999م، ص142؛ وعلي، 1984م، ص115.

(62) كما يظهر من رحلته إلى قوص قبل التحاقه بالعراقي ثم رحلاته الأخرى إلى الإسكندرية والشام وغيرها (السخاوي، 1999م، ص141-146).

(63) حكموا ما بين 628-923هـ / 1231-1517م، وسموا كذلك نسبة إلى جدهم رسول، وهو محمد بن هارون بن أبي الفتح، وانتسبوا للغساسنة، إذ حاولوا صبغ حكمهم لليمن بأصولهم اليمنية الغسانية، وهو أمر جاء متأخرا عن قيام دولتهم، وبتوجيه من ملوك الدولة أنفسهم، أمام منافسين علويين يتكئون على النسب الفاطمي لحصر الإمامة فيهم (أحمد، 1989م، ص46-51، 245-246؛ والفيفي، 2005م ص30-32).

(64) الزيدية مذهب إسلامي يوجد منتسبوه بصورة رئيسة في اليمن، ويعتزون إلى الإمام زيد بن علي (استشهد سنة 122هـ)، وأول من أسس دولة لهم في اليمن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ت298هـ/ 911م، ومن أشهر المبادئ السياسية التي يعتنقونها: الخروج على الظالم، وإمامة الإمام علي بن أبي طالب بعد رسول الله، ثم الحسن والحسين، ثم من قام من ذريتهما عالما عادلا شجاعا سخيا مدبرا. ينظر (القاسم بن محمد، 1436هـ، ص21، 130- 146).

(65) الخزرجي، 1914م، ج2 ص155- 156، 159.

(66) الخزرجي، 1914م، ج2، ص180، 192، 206-207؛ ومجهول: 1984م، ص96؛ وابن حجر، 1969م، ج1 ص424-425.

(67) يحيى بن الحسين، 1968م، ج2 ص545-546؛ والزحيف، 2002م، ج3 ص1097، 1104؛ وابن القاسم، 2001م، مج2 ص815.

في سنة 803هـ/1400م عند وفاة الأشرف الثاني ولي السلطنة ولده الناصر أحمد، ورغم حملة المصادر عليه واتهامه بالظلم والعسف وانصرافه عن التدبير لسلطنته إلى اللهو والخمر[68]، إلا أنه استعاد بعضًا من الهيبة التي فقدها أمام خصومه الأئمة الزيديين، وقد حكم الدولة الرسولية حتى وفاته سنة 827هـ/ 1424م[69].

في ظل هذه الأوضاع السياسية أتى ابن حجر العسقلاني إلى اليمن في عهد السلطانين الأشرف الثاني وولده الناصر أحمد الرسوليين، وهما يخوضان صراعا محموما مع الأئمة الزيديين، فهل ألقى هذا الصراع بظلاله على رحلة ابن حجر العسقلاني وعلى كتاباته التاريخية؟ وهذا ما سنعرفه لاحقا إن شاء الله تعالى.

ثالثًا: وضع اليمن الفكري والعلمي

رغم صرامة الإمام الناصر صلاح الدين بن علي الهدوي في علاقته مع الرسوليين، إلا أنه عُرِف بالتسامح مع كتب الحديث السنية، بل وألزم علماء صنعاء بنشر الحديث وكتبه المعروفة لدى أهل السنة؛ ولهذا تخصَّصَ بعضُ العلماء لهذه المهمة تحت رعايته[70]، كما كان يستجيد بعض الآراء من المذاهب الأخرى في الأصول والفروع؛ وهو ما استثار بعض المتحمّسين للمذهب الزيدي فاتهمه بتقديم فقه أهل السنة على فقه أهل البيت[71].

تميزت الحالة العلمية في اليمن بشكل عام آنذاك بكثرة المدارس والمراكز والهجر العلمية، وكثرة الإنتاج الفكري والثقافي، والاهتمام بالعلماء، وما ميّزه حقا هو أن القادة السياسيين كانوا علماء في الأغلب، وربما جمعوا القيادة السياسية والعلمية في آن واحد.

وكان من أبرز العوامل المؤثرة في انتعاش الحياة العلمية في اليمن هو:

1-اعتقاد اليمنيين بوجوب تعلم العلم[72].

2-حرص حكام اليمن على اكتساب المعرفة والعلوم ومشاركتهم في الحياة العلمية مشاركة فاعلة[73].

3-إمكانات الرسوليين المالية الضخمة الآتية من أموال الضرائب المفروضة على التجارة في عدن وغيرها[74].

4-تكريم الأئمة الزيديين والسلاطين الرسوليين للعلماء، وصرف المكافآت المجزية لهم.

5-استيفاد السلاطين الرسوليين للعلماء من خارج اليمن من ذوي الاختصاصات المختلفة[75].

6-بناء المدارس العلمية في المدن اليمنية جريا على منوال نظرائهم المماليك في مصر والشام.

7-وقف الأوقاف على العلماء والمتعلمين والمدرسين[76].

8-التسامح والانفتاح اللذان سادا بين أتباع المذاهب المختلفة في اليمن في تلك المرحلة؛ ممَّا هيَّأ لرحلات داخلية بغرض التعلم والتعليم، ففي تلك المرحلة من تاريخ اليمن كانت أقضية مفتي صنعاء وقاضيها العلامة الزيدي الحسن بن محمد النحوي الزيدية (ت791هـ/ 1389م) وفتاواه تمضي في جبلة وتعز وعدن المحسوبة على الشافعية، وهو الذي كان قد قضى شطرا من عمره طالبا للحديث والفقه في زبيد. وهناك أفقه أهل اليمن بالحاوي الصغير[77] (في فقه الشافعية) وهو محمد بن الحسين الترخمي كان يدرّسه في الجامع الكبير بصنعاء، ويتقاضى مرتبه السنوي من السلطان الرسولي[78].

9-الرحلات العلمية التي قام بها العلماء من وإلى اليمن، ومنها رحلتا ابن حجر العسقلاني إلى اليمن[79].

10-استقرار كثير من العلماء في اليمن بترغيب الحكام الرسوليين كالمجد الشيرازي وتبوئهم فيها مراكز علمية وإدارية مهمة.

11-كان للموقع الجغرافي أثر مهم؛ لكون اليمن تقع على طريق التجارة العالمية التي كانت تمر عبر عدن والبحر الأحمر، وكثيرا ما كان العلماء تجارا أو التجار علماء[80].

لقد تميز هذا العصر بكثرة المدارس العلمية في اليمن التي ولع بإنشائها الرسوليون في كل من زبيد وتعز

---

[68] ابن حجر، 1969م، ج3 ص331؛ وأحمد، 1989م، ص225-226.

[69] مجهول، 1984م، ص112؛ والخزرجي، 1914م، ج2 ص230، 242، 273، 274- 275.

[70] يحيى بن الحسين، 1968م، ج2 ص537.

[71] الوزير، 797هـ، ص140.

[72] أوصى الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى أولاده بطلب العلم لوجوبه عليهم (ابن المرتضى، 1071هـ، ص46/ب).

[73] الوزير، 797هـ، ص56-57؛ والشجاع، 2009م، ص471، 474.

[74] سارجنت، د.ت، ص53؛ و د.ت، ص63.

[75] ابن حجر، 1993م، ج1 ص 468، ج2 ص149؛ والحبشي، 1980م، ص62-63.

[76] الحبشي، 1980م، ص82-83؛ والفيفي، 2005م، ص306.

[77] (الحاوي الصغير) في الفروع للشيخ نجم الدين بن عبد الغفار القزويني (ت665هـ/ 1266م)، وهو من الكتب المعتبرة لدى الشافعية، وجيز اللفظ، بسيط المعاني، محرر المقاصد، عكفوا عليه بالشروح والنظم (حاجي خليفة، د. ت، مج1 ص625)

[78] الجندي، 1993م، ج2 ص305؛ والأهدل، 2004م، ج1 ص577؛ وابن أبي الرجال، 2004م، ج1 ص315، ج2 ص237، ج4 ص315-316.

[79] ابن حجر، 1993م، ج2 ص247-249، ج3 ص315، ج4 ص268-287، 462.

[80] ابن حجر، 1993م، ج4 ص419.

والجند وذي جبلة وغيرها[81]، إضافة إلى الهجر العلمية والمساجد والقباب والمشاهد والبيوت والمكتبات والقصور والحصون التي كانت مسرح الحياة العلمية والتعليمية في طول اليمن وعرضها[82].

رابعا: الصراع بين الصوفية والفقهاء

شارك اليمنيون العالم الإسلامي في مسيرة العلوم والمعرفة في مختلف مجالاتها، وبلغت المشاركة اليمنية مستوى كبيرا، في جميع المجالات، ولا يتسع البحث لإيراد ذلك، وما يعنينا في هذا المقام هو الحديث عن المتصوفة والفقهاء.

إن التصوف "علم يُعْرَفُ به كيفية ترقّي أهل الكمال من النوع الإنساني في مدارج سعادتهم والأمور العارضة لهم في درجاتهم بقدر الطاقة البشرية"[83]، وأقرب التفسيرات إلى القبول هو القول بأن (التصوف) مشتق من لبس الصوف، وإن كان شيوخ التصوف قد أوضحوا أن التصوف يهتم بالجوهر قبل المظهر، ويُعْنَى بالحقائق والأعمال أكثرمن عنايته بالرسوم والأشكال[84].

وأصله قديم منذ الصحابة والتابعين يعبَّر به عن العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والإعراض عن زخارف الدنيا والزهد فيما يُقْبِل عليه الناس، والانفراد والخلوة للعبادة، ولما فشا الإقبال على الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة في القرن الثاني الهجري، ولما كُتِبَت العلوم ودُوِّنَتْ كتَبَ رجالٌ من أهل هذه الطريقة في طريقتهم[85].

وقد تعدّدت الآراء في التصوف والصوفية مدحا وقدحا، ولعل السبب الأهم في ذلك يعود لتنوع المدارس والتيارات الصوفية، ومن الصعب على الباحث أن يضع جميع تلك التيارات والمدارس في حكم واحد جامع؛ لاختلاف مناهجهم وآرائهم، لكنه من المفيد الإشارة إلى أن ذلك النوع من تصوف القرون الأولى - المتمثل في الزهد والعبادة والانقطاع إلى الله، والذي لم تشِبْهُ الفلسفات التي ظهرت في العصور اللاحقة- كان محل إجماع العلماء على اختلاف توجهاتهم، وأوصى أئمة العلم بنيهم وذويهم به، وأحبُّوه ورضوه لأنفسهم[86].

أما التصوف المشوب بالفلسفة والمتمثل في فلسفة الشيخ محيي الدين ابن عربي، وابن الفارض ومن معهما، فقد كان محل خلاف، وكذلك تلك التيارات الصوفية التي كانت تمارس بعض السلوكيات الغريبة على ثقافة المجتمع الإسلامي.

لاحقا دخلت على التصوف النظريات الصوفية الفلسفية، ومنها: نظرية الحلول، وهي امتداد لفكرة الفناء التي نادى بها الحسين بن منصور الحلاج (ت309هـ/ 922م)، حيث زعم أن الإله قد يحل في جسمِ عبدٍ من عباده، كقول بعض المسيحيين عن حلول الله في عيسى عليه السلام[87]، وقد أدانه بعض الفقهاء واعتبروه كافرا، ولهذا طُلّ دمُه بناء على فتواهم ضده بمخالفه الشريعة[88].

ومنها نظرية الاتحاد، وهو امتزاج شيئين أو أكثر في كلٍّ متصلِ الأجزاء، وهو أعلى مقامات النفس لدى القائلين بهذه الفلسفة، ويصبح الواصل معه كأنه والباري شيء واحد، فيخترق الحجب، ويرى ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ومن القائلين بهذه الفلسفة الشيخ عمر بن علي، المشهور بابن الفارض، ولد في القاهرة وعاش بها ثم توفي (سنة632هـ/ 1235م) في القاهرة، وشعره "ينعق بالاتحاد الصريح" على حد قول ابن حجر، واختلفَ فيه الفقهاء؛ فمنهم من كفّره، ومنهم من تولاه، ومنهم من وقف فيه[89].

وهناك نظرية (وحدة الوجود)، وهو مذهبٌ يقول: إن الله والعالَم حقيقة واحدة، ولا حقيقة موجودة إلا الله، وهذا العالَم بما فيه من مخلوقاتٍ إنما هو أعراضٌ ومظاهرُ لوجوده تعالى، أو مجرَّدُ تجلياتٍ وفيوضاتٍ مستمدّةٍ منه[90]، وتبنّى هذه المقولة الشيخ محيي الدين محمد بن علي الحاتمي الطائي الأندلسي المشهور بابن عربي (ت638هـ/ 1240م) في دمشق، وكان قد دخل القاهرة، وجاور بمكة، وخلّف تراثا كبيرا من المؤلفات، ومنها كتاب (فصوص الحِكَم)، و(الفتوحات المكية)[91]، ومن يقرأهما قراءة مستفيضة يجد أن الرجل يقرّر فيهما قضية

(81) الحبشي، 1980م، ص72-83.
(82) الزحيف، 2002م، ج3 ص1107، 1110؛ وابن أبي الرجال، 2004م، ج1 ص315، ج2 ص117، 433-434؛ وابن القاسم، 2001م، مج1 ص136.
(83) القنوجي، 1978م، ج2 ص152.
(84) مدكور، د.ت، ج1، ص87.
(85) ابن خلدون، 2001م، ص611، 612.
(86) ابن حجر، 1993م، ج3 ص68- 69؛ والسبكي، 1964م، ج10 ص219؛ و1993م، ص123.
(87) المعجم الفلسفي، 1983م، ص76.
(88) ابن حجر، 2002م، ج3 ص211- 213.
(89) ابن حجر، 2002م، ج6 ص123، 124، 125؛ وحاجي خليفة، د. ت، مج1 ص265، 266، 382، 267.
(90) المعجم الفلسفي، 1983م، ص212.
(91) طبع هذان الكتابان عدة طبعات، وترجما إلى غير العربية.

(وحدة الوجود) بصراحة لا مواربة فيها، فهو لا يعترف بالوجود الحقيقي إلا لله تعالى، وهذا الخلق كله ظلٌّ للوجود الحق، ولا وجود له بذاته[92].

وقد اختلف الفقهاء أيضا في تكفيره، فمنهم من كفّره، ومنهم من تأوّل كلامه، وآخرون أفرطوا في المغالاة فيه، وفريق رابع رووا توبته عن تلك المقالات، وعلى كلٍّ فقد كان كبير القدر عند أصحابه، وجعله بعضهم في درجة النبوة، ويبدو أن السبب في اختلاف الحكم عليه هو ما يبدو أنه تناقضٌ في عباراته، فما يفهم منها "حسن جميل"، وفيها "كلمات ينبو السمع عنها"، إضافة إلى تضلعه في علوم كثيرة، منها علوم الشريعة التي يؤكد في بعض كلامه على أهميتها[93].

لقد أخذ التصوف طريقه إلى اليمن منذ القرن السادس الهجري تقريبا، وقويت مراكزه في ظل الحكم الأيوبي (569- 626هـ/ 1173- 1228م)؛ لاستعانتهم بكل القوى ذات النفوذ الروحي والاجتماعي من أجل توطيد نفوذهم، كما نشطت الحركة الصوفية في عهد بني رسول امتدادا لما كان سائدا في الحجاز والشام ومصر، وأصبح لها نظمها وتعاليمها الخاصة، ومع أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجري اتخذ التصوف منحىً فلسفيا؛ إذ انتشر بين بعض أتباعه مذهب ابن عربي القائم على وحدة الوجود بين الخالق والمخلوق[94].

أما الفقهاء فهم الذين يشتغلون في علم الفقه، وقد عُرّف الفقهُ بأنه "استنباط الأحكام الشرعية العملية عن أدلتها التفصيلية"، وموضوعُه فعلُ المكلَّف من حيث الوجوب والندب والحل والحرمة والإباحة[95].

وفي المناطق اليمنية الخاضعة لحكم الدولة الرسولية نشطت مدرستان، إحداهما لتدريس الفقه الشافعي وأخرى لتدريس الفقه الحنفي، ولم تكن المدرستان بمنأى عن مسار الدراسات الفقهية في حواضر العالم الإسلامي الأخرى، خلال القرون الثلاثة، السابع والثامن والتاسع الهجرية، التي تميزت في مجملها بالتقليد لأئمة المذاهب المعتمدة لديها، وبرز فقهاء عديدون في تلك الفترة، للتدريس، والتأليف، والفتيا والقضاء، غير أن ما كان يجمع هؤلاء الفقهاء جميعًا هو الخصومة مع الصوفية (الاتحادية).

كلُّ هذه الخصومة بين الفقهاء والصوفية دارت رحاها في مناطق الدولة الرسولية امتدادًا للصراع بين الفئتين في حواضر إسلامية عديدة، كالقاهرة، ودمشق، وغيرهما، أما مناطق الدولة الزيدية على الأقل خلال القرن الثامن والتاسع الهجريين، فقد كانت بعيدة عن التصوف الفلسفي، وكان التصوف عندهم يحتفظ بطبيعته الأولى كما في صدر الإسلام.

أثناء رحلتي ابن حجر العسقلاني إلى اليمن شهدت المناطق السنية في اليمن لا سيما في زبيد وتعز صراعا محموما بين الصوفية والفقهاء؛ فقد كان للصوفية علاقة حسنة مع سلاطين بني رسول أول الأمر، وتعتَبَر المدة الواقعة بين سنتي 778هـ/1376م و827هـ/1423م هي الأكثر قوة لهم، وهم الذين سيطروا على القرار الثقافي في اليمن؛ لميل السلطان الأشرف الثاني الرسولي إليهم، ورغم تظاهره بالحياد بينهم وبين الفقهاء إلا أنه سمح لهم بضرب الفقهاء ونفيهم وإهانتهم، ولما كان السلطان الناصر الرسولي مطَّلعا جيّدًا على كتبهم فقد ولّى أكبر شيوخهم وهو أحمد بن أبي بكر الرداد المكي (ت821هـ/1418م) قضاء الأقضية سنة 817هـ/1414م، فضايق الفقهاء المعارضين له، ونكّل بهم[96].

لم يكن التصوف بحد ذاته مصدر غضب الفقهاء في اليمن، بل كان فقط ما يغضبهم هو التصوف الفلسفي التابع لمدرسة الشيخ محيي الدين ابن عربي (ت626هـ/1228م)؛ إذ كانت هذه المدرسة تُتَّهَم بالقول بوحدة الوجود (وحدة وجود الخالق والمخلوق)، والقول بقدم العالم، ونفي علم الله بالجزئيات، وإنكار بعث الأجساد وعذاب الكفار، وغير ذلك[97].

وممَّنْ تأثر بكتابي ابن عربي (فصوص الحِكَم) و(الفتوحات المكية): كل من الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي المكي (ت806هـ/1403م)، وتلميذه قاضي الأقضية الشيخ أحمد بن أبي بكر الرداد المكي (ت821هـ/1418م)، والشيخ عبدالكريم الجيلي (ت820هـ/1417م)، ومحمد بن محمود الكرماني (ت841هـ/1437م متخفيا بجازان)، ومحمد بن محمد المزجاجي (ت829هـ/1425م) وكانوا يعتقدون صلاح ابن عربي وكونه وليا من الأولياء[98].

أما الفقهاء، الذين تصدوا للتيار الصوفي من أتباع ابن عربي والمعجبين به، فأبرزهم: الفقيهُ أحمد بن أبي بكر

---

[92] ابن حجر، 2002م، ج7 ص391- 392؛ وفتاح، 1993م، ص258، 266.

[93] ابن حجر، 2002م، ج7 ص391- 396.

[94] العبادي، 1995م، ص77.

[95] القنوجي، 1978م، ج2 ص399- 400.

[96] الحبشي، 1976م، ص46؛ والفيفي، 2005م، ص335-337.

[97] الأهدل، 2004م، ج2 ص70-71.

[98] ابن حجر، 1969م، ج3 ص177- 178؛ والأهدل، 2004م، ج2 ص70-71.

الناشري (ت815هـ/1412م)، والفقيه أبوبكر بن الخياط مفتي تعز (811هـ/1408م)، ولما توفيا تصدّى لهم صديق ابن حجر الفقيه الشاعر إسماعيل بن أبي بكر المقري (ت837هـ/1433م)، والفقيه الأصولي المفسّر محمدُ بن نور الدين الموزعي (ت825هـ/1421م)، ولم ترجُحْ كفة صراعهم إلا بعد موت الناصر الرسولي؛ حيث انتُصِف للفقهاء من الصوفية[99].

وسيأتي توثيق ابن حجر في رحلتيه لهذه الحالة من الصراع بين الفقهاء والصوفية إن شاء الله بشكل أكثر تفصيلا.

خامسًا- رحلة ابن حجر الأولى إلى اليمن:

في يوم الخميس 12 شوال سنة 799هـ/ 16 يوليو 1397م غادر ابن حجر القاهرة متوجها نحو الحجاز في طريقه إلى اليمن مرافقا صاحبه صلاح الدين خليل بن محمد الأقفهسي (ت820هـ/1417م) الذي كانت وجهته مكة للمجاورة بها، وأبا بكر بن أبي المعالي الناشري اليمني (ت821هـ/1418م) الذي كان عائدا من سفارته في مصر للسلطان الرسولي[100].

وفي جدة فارقه صاحبه الأقفهسي نحو مكة، وتوجَّه هو والناشري إلى اليمن فوصلا في ربيع الأول سنة 800هـ/ ديسمبر 1397م إلى مدينة زبيد.

-ابن حجر العسقلاني في زبيد:

اجتمع ابن حجر العسقلاني بالفقيه البارع أحمد بن أبي بكر الناشري واستفاد منه، وكانت رئاسة العلم قد انتهت إليه، وقد تعصّب عليه المتصوفة من أهل زبيد أتباع ابن عربي وهو قد ردّ عليهم، وقال ابن حجر: "اجتمعت به واستفدت منه بزبيد"، "ونعم الشيخ كان"[101].

ولقي الشرفَ إسماعيلَ بن محمد بن أبي بكر المقري (ت837هـ/1433م)[102]، صاحب كتاب (عنوان الشرف الوافي)[103]، وكان ماهرا في الفقه والعربية، وقد ذكر ابن حجر أنه استفاد منه الكثير، وطارحه شعرًا، وسمع هو منه مختصر ديوان شعره، وأحسن السفارة له إلى السلطانين الرسوليين في الرحلتين، وقد أُعْجِبَ ابنُ حجر بشعره، وقال: ما رأيت في اليمن أذكى منه[104]، ولعل القرب الثقافي بين الرجلين وكراهتهما لتصوُّف ابن عربي، الذي كان يجتاح مدينة زبيد آنذاك، هو ما متّن العلاقة بينهما، واعتراف ابن حجر بأنه استفاد منه الكثير يعني الشهادة بأنه كان صاحب علم غزير، واطلاع وفير، وذهنية متوقّدة.

كما لقي في زبيد القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد بن يوسف العلوي الحنفي (ت803هـ/1400م)[105]، وسمع من فوائده، وناوله بديعيته[106] التي عارض بها الحلي[107] فكتب عليها شيئًا، والعلوي هذا من رجال الأشرف الثاني الرسولي، غير أن ابن حجر علق عليه قائلا: "إنه من أعيان أهل زبيد، وكانت له وجاهة ورياسة، وهو شاعر، ليس له سماع ولا رواية ولا دراية، وقد اجتمعتُ به فرأيتُه عريضَ الدعاوي كثير الشقاشق قليل العلم إلى الغاية"[108]، وابن حجر هنا يظهر كعادته إماما في الجرح والتعديل، يرى نفسه ملزَمًا بقولِ ما للشخص المترجم له وما عليه.

كما لقي في زبيد وزير الأشرف الطبيب حسين بن علي الفارقي الزبيدي (ت801هـ/1398م)، وكان أحد أعيان التجار في اليمن[109].

وسمع من فوائد مَنْ وصفه هو بأنه "أحد أئمة العربية باليمن"، وهو العلامة النحوي الكبير عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي الحنفي (ت 802هـ/1399م)، الذي كان شيخ سلطان اليمن الأشرف الرسولي في العربية، كما سمع الشرجي على ابن حجر شيئا من الحديث، وذكر ابن حجر أيضا في ترجمته أن "له نظم مقدمة

---

(99) الأهدل، 2004م، ج2 ص70-71؛ والحبشي، 1976م، ص136.

(100) ابن حجر، 1992م، ج3 ص898-99؛ والسخاوي، 1999م، ص146-147.

(101) ابن حجر، 1992م، ج3 ص30-31.

(102) لقيه في الرحلتين (ابن حجر، 1992م، ج3 ص86).

(103) اسمه الكامل (عنوان الشرف الوافي في الفقه والتاريخ والنحو والعروض والقوافي)، طبع عدة طبعات، وهو كتاب بديع الترتيب وعجيب البناء؛ فإذا قرأه القارئ كاملا وجده فقها على مذهب الشافعية، وإذا قرأ أوائل السطور فقط أو أوساطها فقط أو أواخرها فقط وجدها نحوا وتاريخا وعروضا.

(104) ابن حجر، 1992م، ج3 ص87-88؛ والسخاوي، 1999م، ص147-148.

(105) تشكك ابن حجر في أي العامين توفي أفي عام 803هـ أم في عام 804هـ، والمرجح ما جزم به المقريزي في درر العقود الفريدة ج2 ص378 وهو عام803هـ.

(106) اسمها الجوهر الرفيع ودوحة المعاني في معرفة أنواع البديع ومدح النبي العدناني. (السخاوي، 1999م، ص723).

(107) الحلي هو: صفي الدين عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم الحلي (ت750هـ / 1349م)، وبديعيته هي (الكافية البديعية في المدائح النبوية) التي هي المحاولة الثاني في هذا الفن من الشعر، بعد محاولة الإربلي (ت692هـ/ 1293م)، الذي يقوم على نظم الشاعر قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يلتزم فيها أن يضمّن كلَّ بيت أو مجموعة أبيات فنًّا بديعيًا من فنون البلاغة (مثل الجناس، الطباق، المقابلة، التورية... إلخ) (عتيق، د.ت، ص58- 60).

(108) ابن حجر، 1992م، ج3 ص161-162؛ والخزرجي، 1914م، ج2 ص242، 258، 263، 271؛ والسخاوي، 1999م، ص148، 723.

(109) ابن حجر، 1969م، ج2 ص70.

ابن بابشاد[110]، وشرح ملحة الأعراب[111]، ومقدِّمة في علوم النحو[112]، وكان الأشرف إسماعيل يقرأ عليه فيه"[113]، وهذا توثيق من ابن حجر للإسهام اليمني في ما يتعلق بعلم النحو.

ولقي المؤرخَ الخزرجي علي بن الحسن (ت812هـ/1409م) وطارحه الخزرجي برسالة أدبية، وذكر ابن حجر أنه "اعتنى بأخبار بلده فجمع لها تاريخًا على السنين[114]، وآخر على الأسماء، - يعني المسمى (طراز أعلام اليمن في طبقات أعيان اليمن)، وسماه أيضًا (العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن)[115]، - وآخر[116] على الدول"[117]، ولم يذكر الخزرجي لقاءه ابن حجر في أي من كتبه؛ ذلك أنه لقي ابن حجر وهو لا يزال طالب علم مغمورا غير مشهور، ومن خلال ما سبق في ترجمة ابن حجر يتبين أنه لم يحظ بالشهرة إلا بعد وفاة مؤرِّخنا الخزرجي.

وسمع في زبيد أيضا من نظم شاعر اليمن في عصره علي بن محمد بن إسماعيل الناشري (ت812هـ/1409م)، الذي كان مشاركا في كثير من العلوم، وحصل الفقه والنحو، وسمع الحديث، وكان شاعرًا مجيدا يقترحون عليه الموضوعات فيأتي لها بأشعار على أحسن وجه، وصفه ابنُ حجر بأنه "شاعر اليمن في عصره، مدح الأفضل والأشرف"، ونال من وراء ذلك المال الواسع[118].

وسمع أيضا من فوائد أحمد بن عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي الزبيدي الحنفي (ت812هـ/1409م)، الذي كان قد مهر في العربية، ودرس في المدرسة الصلاحية[119] بزبيد، كما أن الشرجي سمع عليه شيئًا من الحديث[120].

ولقي أيضا مرارًا جمال الدين محمد بن أبي بكر المصري المرجاني ثم المكي (ت820هـ/1417م)، وكان قد اتصل بالملك الأشرف والناصر الرسوليين وحظي لديهما، وولي لهما بعض الولايات، وكان ملجأ للقاصدين إلى اليمن لا سيما من الحجازيين يسفر لهم لدى السلطان ويعينهم، وقد لقيه ابن حجر وسمع منه قليلا[121].

والتقى في زبيد في النخل سنة 800هـ/1397م محدّث اليمن الموصوف بأنه إمام أهل السنة في اليمن، نفيس الدين سليمان بن إبراهيم بن عمر العلوي المكي التعزي الزبيدي الحنفي (ت825هـ/1421م)، وأُعْجِب ابنُ حجر بحرصه على طلب الحديث ومحبته لأهله، وسمع عليه ابن حجر جزءًا خرّجه لنفسه، قال ابن حجر: "زعم أنه مُسَلْسَلٌ باليمنيين وليس الأمر في غالبه كذلك"، كما سمع هو وأبوه إبراهيم بن عمر، ويحيى بن محمد بن أبي بكر بن قرط الحنفي، على ابن حجر (المائة العشارية)[122] التي خرَّجها لشيخه برهان الدين البعلي[123]، كما سمع عليه مشيخة الفخر ابن البخاري[124] وذيلها في تلك السنة.

ثم لقيه في الرحلة الثانية بمدينة تعز وقد اتخذها العلوي مقاما لإسماع الأحاديث. وكان قد استقر العلوي في تدريس الحديث بالمدرسة الصلاحية بزبيد ثم بالأفضلية[125] والمجاهدية[126] بتعز، وارتحل الناس إليه من الأماكن البعيدة للتفقه والاسماع.

---

[110] ابن بابشاذ هو إمام عصره في النحو، أبو الحسن طاهر بن أحمد، الديلمي الأصل، ثم المصري، توفي 469هـ/ 1077م، ومقدمته في النحو تسمى (الكافية المحسبة)، أولع بها اليمنيون، وعكفوا عليها دراسة وشرحًا، ومنهم عالمنا الشرجي، الذي استدعاه السلطان الأشرف الرسولي في جملة فقهاء زبيد إلى مجلسه وأمره بنظمها شعرا، فنظمها أرجوزة في ألف بيت (ابن حجر، 1969م، ج2، ص121- 122)

[111] ملحة الإعراب: منظومة في النحو للحريري أبي محمد القاسم بن علي بن محمد (ت516هـ/ 1122م)، ظلَّت من مقرَّرات المدارس والمراكز العلمية في تعلم النحو في اليمن وغيرها، وقد ذكر السخاوي أن السلطان الأشرف الرسولي هو الذي التمس من عالمنا الشرجي شرحها (السخاوي، 1992م، ج4، ص325).

[112] جعل هذه المقدمة على قسمين، قسم في مفردات الكلم، والآخر في المركبات (السخاوي، 1992م، ج4، ص325- 326).

[113] ابن حجر، 1992م، ج3 ص167؛ و1969م، ج2 ص121-122.

[114] سماه (الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن وسكنها من الإسلام)، طبع بتحقيق راضي دغفوس، بمجلة الدراسات التونسية عام 1979م.

[115] طبع بتحقيق مجموعة من الباحثين، بتاريخ 2008- 2009م، ونشرته مكتبة الجيل الجديد بصنعاء.

[116] سماه (العسجد المسبوك في من ولي اليمن من الملوك) نشرته وزارة الثقافية في الجمهورية اليمنية عام 1981م بدون تحقيق.

[117] ابن حجر، 1992م، ج3 ص181-182؛ و1969م، ج2 ص441.

[118] ابن حجر، 1992م، ج3 ص186؛ و1969م، ج2 ص441-442.

[119] شيدت على نفقه والدة السلطان المجاهد الرسولي، وهي من كبريات المدارس الرسولية بزبيد، وتميزت بتنوع دروسها وعدد مدرسيها، وكثرة الأوقاف عليها، وحسن بنائها وسعتها. (العبادي، 1995م، ص182-184).

[120] ابن حجر، 1969م، ج2 ص437.

[121] ابن حجر، 1992م، ج3 ص298-299.

[122] الأحاديث العشارية: هي التي تتميز بكون رواتها من أول راو إلى الذي يروي عن رسول الله عشرة رواة، أي تتميز بعلو إسنادها، وقد خرج ابن حجر مائة عشارية لشيخه برهان الدين البعلي، وكذلك عشرة عشارية (عبدالمنعم، 1997م، ج2 ص232).

[123] البعلي: برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد التنوخي البعلي، القاهري، المقرئ، والمسند الكبير، قرأ عليه ابن حجر في القراءات والحديث، توفي سنة 800هـ/ 1398م

[124] الفخر ابن البخاري، علي بن أحمد بن عبدالواحد، فخر الدين، أبو الحسن، ابن البخاري، وهذه المشيخة مخطوطة في خزانة بعض المحققين (ابن حجر، 1992م، مج1 ص173، مج3 ص267).

[125] بناها السلطان الأفضل العباس ابن المجاهد علي بجوار مدرسة والده المجاهد في شرق تعز سنة 765هـ، وكانت من أجمل المدارس. (الأكوع، 1986م، ص243).

[126] بناها السلطان المجاهد الرسولي علي بن داوود سنة 731هـ/ 1330م في شرق تعز (الأكوع، 1986م، ص229).

قال ابن حجر عنه: إنه "أحبَّ الرواية، واستُجِيزَ له جماعةٌ من المكيين، وسمع مني وسمعت منه، وكان مُحِبًّا في السماع والرواية مُكِبًّا على ذلك، مع عدم مهارته فيه؛ فذكر لي أنه مرّ على البخاري مائة وخمسين مرة ما بين قراءة وسماع واسماع ومقابلة"، وأثنى عليه في موضع آخر، وقال: "ونِعم الرجل كان، لقيته بزبيد وتعز في الرحلتين، وحصل لي به أنس"[127].

هذه الترجمة تبين أن ابن حجر جرى على قاعدته في إعمال الجرح والتعديل وتوصيف كلّ شيوخه بما يراه فيهم، فعلى الرغم من ثنائه على محدِّث اليمن هذا إلا أن ذلك لم يمنعه من توجيه بعض النقد العلمي إليه.

هذا وقد خرّج ابن حجر لنفسه في يومٍ واحد من مروياته (الأربعين المهذّبة بالأحاديث الملقّبة) تلبية لطلب واقتراح هذا النفيس العلوي، الذي كان أستاذه وشيخه في آن واحد[128]، وفي هذا الكتاب استخرج ابن حجر أربعين حديثا من روايته، وهذّبها، جريا على قاعدة الاهتمام بجمع أربعين حديثا؛ لما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (من حفظ على أمتي أربعين حديثًا في أمر دينها بعثه الله تعالى يوم القيامة من زمرة الفقهاء والعلماء)، ورغم أن المحدِّثين اتفقوا على ضعف هذا الحديث، إلا أن الكثير منهم صنّفوا في هذا الباب عددًا كبيرا من الأربعينيات، ومنهم صاحبنا ابن حجر العسقلاني[129]، وأما وصفها بالملقَّبة فلكون كل حديث منها اشتُهِر بلقَبٍ بين المحدّثين، مثل: حديث البطاقة، وحديث الرايات، وحديث المرأة السوداء، وحديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة، وغير ذلك.

وممن تتلمذ عليه في اليمن: الفقيه المقرئ عفيف الدين عثمان بن عمر الناشري، وكان أحد البلغاء الأمجاد، حسن المحاضرة بليغ العبارة، وتعلم على يد شيوخ أهل بيته المشهورين بالعلم، وأخذ في القراءات والنحو والفروع والحديث والأصول على نفيس الدين العلوي[130].

-وفي زبيد حضر ابن حجر مشهدا مهما من تاريخ الصراع بين المتصوفة والفقهاء، بل وحط رحاله في اليمن في نفس المدة التي كان للمتصوفة من أتباع ابن عربي القلم الأعلى، وتنحاز إليهم السلطة الرسولية ضد الفقهاء؛ فقد لقي الشيخ إسماعيل بن إبراهيم بن عبدالصمد العقيلي الهاشمي الجبرتي المكي الشافعي (ت806هـ/1403م) نزيل زبيد، واجتمع به ووجده "صوفيا اتحاديا" بوعيٍ وفهمٍ منه لتلك المقالة، وكان له اعتقاد عند أهل زبيد، وعند السلطان الأشرف الرسولي؛ لتأييده ضد الإمام الزيدي الناصر صلاح الدين بن علي لمّا حاصر زبيد، وكان قد بشّر السلطان بالنصر، وبانهزام الإمام، فتراجع الإمام عن حصار زبيد، ووقع كما قال، فصارت له عند السلطان منزلة وكلمة لا تُرَد، وكان داعيةً لمذهب ابن عربي، وكان بيته مجمَعًا لأهل الذكر والعبادة ولأهل الرقص والسماع ولأهل الحاجات، وكان يعادي مَنْ لم يتمذهب بمذهب وحدة الوجود، وذكر ابن حجر أنه بلغ في العصبية إلى أن صار مَنْ لا يحصِّل نسخة من (الفصوص) لابن عربي تنقص منزلته عنده، وأنه "اشتد البلاء بأهل السنة به وبأتباعه جدًّا"، وقال ابن حجر: "وقد حدثني عن الحافظ أبي بكر بن المحب[131] بالإجازة، وعن أبي محمد بن عساكر[132] بالإجازة العامة"، وكان قد تتلمذ عليه ابن الرداد، ومحمد بن محمد بن أبي القاسم المزجاجي، وغيرهما[133].

ويلاحظ أن هذا الجبرتي العقيلي هو أول شخص ينتمي لمدرسة ابن عربي الصوفية الفلسفية، وأنه مكي في الأصل، ثم نزل في زبيد، وكذلك نجد أن تلميذه الرداد الذي حمل راية التصوف الفلسفي بعد شيخه هو أيضا مكي نزل في زبيد، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن التصوف الفلسفي دخيل على زبيد، وأنه دخلها من جهة هذين المكيين، ويدل على أن مكة كانت أيضا تصدر هذا النوع التصوف الفلسفي إلى الأقطار الأخرى، ومنها اليمن، كما تدل على أن اليمن منطقة خصبة للقبول بجميع الأفكار والثقافات الجديدة والطارئة، وأنه يمكن لأي داعية أن يجد له أتباعا في اليمن.

كما لقي ابن حجر تلميذ الجبرتي، وهو القاضي شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن محمد الرداد التيمي المكي ثم الزبيدي (ت821هـ/ 1418م)، الذي دخل اليمن ومال نحو القول بتصوف الفلاسفة (تصوف ابن عربي)، وصحب الأشرف الرسولي حتى صار من خواصه، وقد سمع ابنُ حجر من فوائده ونظمه، وسمع هو أيضا منه جزءًا من الحديث. وفي ترجمته لشهاب الدين الرداد هذا، ذكر أنه كان داعية إلى التصوف

---

[127] ابن حجر، 1992م، ج3 ص115- 116؛ و1969م، ج3 ص284؛ والسخاوي، 1999م، ص1093، 1173.

[128] ابن حجر، 1969م، ج3 ص284؛ والسخاوي، 1999م، ص1093، 1173.

[129] عبدالمنعم، 1997م، ص236.

[130] الشرجي، 1986م، ص115.

[131] هو محمد بن عبدالله بن أحمد، ابن المحب، الحافظ شمس الدين، المعروف بالصامت، المقدسي، الحنبلي، توفي في شوال 789هـ/ أكتوبر 1387م (ابن حجر، 1992م، مج2 ص645- 646).

[132] هو القاسم بن مظفر بن محمود، ابن تاج الأمناء، بهاء الدين، أبو محمد، توفي سنة 723هـ/ 1322م (ابن حجر، 1993م، ج1 ص142).

[133] ابن حجر، 1992م، ج3 ص83- 85؛ و1969م، ج2 ص224.

الفلسفي، وأنه أفسد عقائد أهل زبيد، وأن نَظْمَه وشِعْرَه ينعق بالاتحاد، وكان المنشدون يحفظون أشعاره تقرُّبًا إليه، وذكر أنه رغم سيماء العبادة الذي كان يبدو على وجهه إلا أنه كان يوافق السلطان في خلواته، ويجالسه على شهواته، "من غير تعاطٍ معه لشيء من المنكَرات، ولا تناولٍ للمُسكرات"، وذكر ابن حجر أيضا أنه لما شغر القضاء بموت الإمام مجد الدين الشيرازي لمدة سنتين انتظارًا من السلطان الناصر الرسولي لقدوم ابن حجر إلى اليمن ليوليه قضاء الأقضية، فلمّا لم يقدم طلبه الردّاد لنفسه خوفا من تولية الفقيه الناشري الذي كان يواجه المتصوفة بما يكرهون بخلاف المجد الشيرازي فقد كان يداهنهم، فاستغل الرداد منصبه لإقصاء خصومه من الفقهاء والانتقام منهم، والتنكيل بهم، لكنه أيضا عوجل بالموت[134].

أما بالنسبة للتلميذ الآخر للجبرتي العقيلي، وهو محمد بن محمد بن أبي القسم، أبي عبد الله المزجاجي الزبيدي (ت829هـ/1425م) فقد ذكره ابن حجر في إنبائه وقال: "كان أحد مشايخ صوفية زبيد، ممن تقدّم عند الأشرف إسماعيل ثم عند ولده الناصر، وكان يلازمه وينادمه ويحضر معه جميع ما يصنعه من خير وشر من غير تعرُّضٍ لإنكار، وكان حسنَ الوساطة مُتَديّنًا"[135]. وقد صنّف كتابا في الثناء على ابن عربي والحلاج، وجمع فيه حكايات، وعنونه بـ(هداية السالك إلى أسنى المسالك)[136].

وفي زبيد، وفي وادي الخصيب القريب منها جنوبًا أيضا، لقي أبرز العلماء وهو إمامُ اللغة غير مدافَع، محمد بن يعقوب، مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي الشافعي (ت817هـ/1414م)، الذي دخل اليمن سنة 796هـ/1393م، بعد أن جال في العالم ورحل إلى الآفاق، وعظّمه ملوك اليمن، وولاه السلطان الأشرف الرسولي قضاء اليمن، وألف عددًا كبيرًا من المؤلفات في الحديث واللغة والتاريخ وغيرها، وقرأ عليه ابن حجر في (القاموس المحيط) الذي هو من تأليفه، وناوله البقية مجيزا إياه إجازة عامة، وسمع منه أجزاء من الحديث، والمسلسل بالأوَّلية[137]، وجزءًا فيه (الأبدال العالية بدرجتين من مشيخة الفخر علي ابن البخاري)[138]، وفي هذا الجزء أزيد من ثمانين حديثا من العوالي، فيها ستة أحاديث موافقات، وباقيها أبدال، وجزءًا من (حديث الماسرجسي)[139]، وفي آخر الجزء (فوائد لزاهر)[140].

وقد ذكر ابن حجر أنه وجد المجد الشيرازي مُنْكِرًا للتصوف الفلسفي إلا أنه كان يداهن أهل القول به في زبيد بخلاف الفقيه الناشري الذي كان يصارحهم ويجابههم، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على سطوة هؤلاء المتصوِّفة ومقامهم العالي عند السلطان الرسولي غداة رحلة ابن حجر إلى اليمن، إلى مستوى أن يداهنهم قاضي قضاة اليمن نفسه الذي كان صاحب منزلة رفيعة عند السلطان الرسولي أيضا[141].

ولما سمع الأشرف الرسولي بقدوم ابن حجر إلى البلاد اليمنية خطبه للاجتماع به في زبيد، وكان قد سفر له -كما تقدَّم- الفقيهُ شرفُ الدين المقري إلى السلطان الأشرف الثاني الرسولي، فدخل عليه ابن حجر ومدحه بقصيدة فأثابه عليها، "وعامله بما هو جدير به من الإجلال والاحتفال".

وفي ديوانه أربع قصائد ملوكية مدحه بها، وبالغ على عادة الشعراء في أوصافه وتبجيله، وفيها يلوح كرمُ السلطان الأشرف الرسولي وإغداقه عليه بالأموال[142]، على الرغم من وصف ابن حجر له بأنه كان طائشا في أول أمره ثم أقبل على العلم وجمع الكتب، وأنه كان يُكْرِمُ الغرباء، ويجزل لهم العطاء، ثم أهدى ابن حجر للسلطان إليه نسخة فريدة من كتاب (خريدة القصر) للعماد

(134) ابن حجر، 1992م، ج3 ص29 – 30؛ و1969م، ج3 ص177-178.

(135) ابن حجر، 1969م، ج3 ص380.

(136) الأهدل، 2004م، ج2 ص275؛ والحبشي، 2004م، ص313.

(137) الحديث المُسَلسَل بالأولية هو أحد أنواع الأحاديث المسلسلة عند المحدثين، وهو حديث يرويه كلُّ شيخ عن شيخه مقرونًا بقول: "وهو أول حديث سمعته منه"، فمثلا ابن حجر العسقلاني يروي ان المجد الشيرازي أول حديث، وهو حديث (الراحمون يرحمهم الرحمن)، بوصفه أول حديث سمعه منه، ويرويه المجد الشيرازي عن شيخه بوصفه أول حديث سمعه منه، وهكذا حتى نهاية السند.

(138) الأبدال العالية بدرجتين هي: أسانيد بديلة لسند حديث من الأحاديث، وتكون أقصر من الإسناد الآخر باثنين من الرواة، أي بدرجتين. والفخر ابن البخاري، تقدم التعريف به (ابن حجر، 1992م، مج1، ص173، مج3، ص267).

(139) الماسرجسي: هو أبو الحسن، محمد بن علي بن سهل، شيخ الشافعية، (ت384هـ/ 992م)، وجزؤه يسمى أيضا جزء إسحاق رواية الماسرجسي، وإسحاق هو ابن راهويه (ت 238هـ/853م) أحد كبار المحدثين.

(140) زاهر هو: أبو القاسم زاهر بن طاهر الشحامي النيسابوري (توفي سنة 533هـ/ 1138م)، من المحدثين، والفوائد مما علّق بها على بعض الأحاديث التي يرويها.

(141) ابن حجر، 1992م، ج2 ص547-553؛ و1969م، ج3 ص47- 50.

(142) ابن حجر، 1962، ص38، 39، 40، 42.

الأصفهاني الكاتب(143) بخط ابن الفوطي (ت723هـ/1323م)[144] فأثابه عليها ثوابا جزيلا جدا.
كما أهدى إليه تذكرة حديثية، تقع في حوالي عشرة مجلدات ضخمة، مضافة إلى الأربعين، وأهدى إليه أيضا تذكرته الأدبية، وكانت في أربعين مجلدا لطافا، وكان السلطان محبا لجمع الكتب، الأدبية[145]. وهذه التذكرة الأدبية الضخمة سماها ابن حجر (مسامر الساهر ومساهر السامر)، وكأنه رأى أنها تليق بالسلطان الذي يحب المسامرة والمذاكرة، وقد رأى تلميذه السخاوي كثيرا منها في مكة، وذكر أنه "يكاد يوجد فيها مِن نظمه ما ليس في شيء من دواوينه، وسلك فيها طريقة أهل الأدب في حكاية الغثّ والسمين"، وذكر أن شيخه ابن حجر كان متنزّهًا عما كان يحكيه في هذه التذكرة بخطه، ولكنه سلك مسلك أهل الأدب، واعتذر لشيخه بأنه كتبها قبل توغُّله في فنون الحديث النبوي وإعراضه عن فن الأدب[146].
وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن ابن حجر قد توسّع في هذه التذكرة وذكر فيها ما تمنى تلميذه السخاوي أنه لم يذكره، واعتذر له بذلك العذر.

ـابن حجر العسقلاني في تعز:

دخل ابن حجر العسقلاني مدينة تعز في شهر ربيع الثاني سنة 800هـ/ يناير 1398م، و لقي فيها الفقيه القاضي أبابكر بن محمد بن صالح الجِبْلي التعزي، ابن الخياط الشافعي (ت811هـ/1409م)، وكان قد مهر في الفقه وشارك في غيره من العلوم، ودرَّس في مدارس تعز، وله أجوبة على مسائل شتى، وولي القضاء مُكْرَهًا مدة ثم استعفى، وقد سمع ابن حجر من فوائده.

وكان لابن الخياط التعزي "استحضارٌ للحاوي وشروحه[147]، أي كان يستحضره وشروحه بشكل جيد في التدريس والفتيا والقضاء، وكان له منه جزء في كل يوم كالقرآن، وهو أول من ابتكر معرفته التامة به في الجبال، وله عليه حواشٍ مفيدة، تناقلها الفقهاء هناك على نسخهم، وانتهت إليه رئاسة الفقه في اليمن، وجرى بينه وبين المجد الشيرازي مراجعاتٌ بسبب إنكاره على المشتغلين بكتب ابن عربي، وكان قد صنّف في المنع من الاشتغال بها جزءًا فردّ عليه المجد الشيرازي تعصبًا مع صوفية زبيد، وله بكتب العراقيين(148) وكتب الغزالي(149) وبالروضة والعزيز[150] معرفة تامة"[151].
وقد أشار ابن حجر إلى النزاع الذي نشب بينه وبين المجد الشيرازي، وأنه رد عليه تعصبا مع صوفية زبيد، وتفصيل ذلك أن السلطان الناصر الرسولي وجَّه سؤالا إلى الفقهاء يسألهم بشأن اتباع ابن عربي وهل يجوز قراءة كتبه وإقراؤها، فأجاب على ذلك المجد الشيرازي، الذي كان يحسن الظن بأتباع ابن العربي ويجاملهم، فتدخل الفقيه ابن الخياط الذي عُرِف بعدائه الشديد للصوفية، وأجاب على هذا السؤال، وافتتح جوابه بقوله: "قد آن لابن الخياط أن لا تأخذه في الله لومة لائم"، وذكر أنه "لا يجوز ولا يحل تحصيل كتب الشيخ ابن عربي ولا قراءتها ولا إقراؤها"، فتصدّى المجد الشيرازي للرد على بن الخياط بقصد الدفاع عن نفسه، وكان عنوان ردِّه (الاغتباط لمعالجة ابن الخياط)[152].
وفي تعز أيضا طارحه البرهان إسماعيل بن إبراهيم الجحافي بقصيدة امتدحه بها وهنّأه بالسلامة، فأجاب عليه ابن حجر، ثم عاوده بقصيدة ثانية عشية خروجه من تعز

---

(143) العماد الأصفهاني هو: محمد بن محمد بن حامد، المعروف بالعماد الكاتب الأصفهاني، كتب لصلاح الدين الأيوبي، ثم استوطن دمشق، وتوفي سنة 597هـ/ 1201م، وكتابه (خريدة القصر وجريدة العصر) في نحو عشر مجلدات، وهو من أوسع كتب التراجم والأدب في القرن السادس الهجري، وهو مطبوع (كحالة، 1984م، ج11 ص204).
(144) ابن الفوطي هو: عبدالرزاق بن أحمد، كمال الدين، المروزي الأصل البغدادي، مؤرخ، يعد من الفلاسفة، له عدد من المؤلفات (الزركلي، 1980م، ج3 ص349).
(145) ابن حجر، 1969م، ج2 ص158؛ و1993م، ج2 ص365؛ والسخاوي، 1999م، ص152، 680.
(146) السخاوي، 1999م، ص694- 695.
(147) تقدم التعريف بالحاوي، وهو الحاوي الصغير، وقد حظي بشروح عديدة، من أبرزها: شرح الشيخ علاء الدين علي بن إسماعيل القونوي (ت729هـ/ 1328م)، وشرح الشيخ ضياء الدين عبد العزيز بن محمد الطوسي الشافعي (ت706هـ/1306م) المسمى بـ(المصباح)، وشرح أبي البقا محمد بن عبد البر القفطي السبكي (ت777هـ/1375م)، وشرح العلامة حسن بن عمر بن حبيب الحلبي الشافعي (ت779هـ/1377م، وسماه (إيضاح الفتاوي في النكت المتعلقة بالحاوي)،وشرح سراج الدين عمر بن علي بن الملقن (ت804هـ/ 1401م)، وشرح العلامة محمد الناشري (ت874هـ/ 1469م) وغيرها (حاجي خليفة، د.ت، ج1 ص626).

(148) المقصود بالعراقيين: علماء المذهب الشافعي المنتمين إلى المدرسة العراقية، وَمَدَارُ طَرِيْقَةِ العِرَاقِيِّيْنَ على الشيخ أبي حامد الإسفراييني (ت406هـ/ 1015م)، وعنه انتشر فقههم، وتمتاز طريقة العراقيين بأنها أتقن في نقل نصوص الشافعي، وقواعد مذهبه، ووجوه متقدمي أصحابه، وأثبت من نقل الخراسانيين (حميش، 1426هـ، ص330).
(149) الغزالي هو: الإمام أبو حامد، محمد بن محمد الغزالي، (ت505هـ/1111م)، وكتبه هي: البسيط، والوسيط، والوجيز، وقد استهدف الغزالي بكل كتاب من هذه الكتب الثلاثة فئة من الفئات، فالبسيط للعالم المنتهي، والوسيط لطالب العلم المجد الباحث عن التخصص، والوجيز مختصر عونا للمبتدي، وتذكرة للمنتهي (إستيتي، 2012م، ص127).
(150) الروضة، أو روضة الطالبين: للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت676هـ/ 1277م)، وقد اختصرها من كتاب شرح الوجيز للإمام الرافعي (ت623هـ/ 1226م)، الذي سماه (العزيز)، أما الوجيز فهو أحد كتب الإمام الغزالي سالفة الذكر (حاجي خليفة، د. ت، مج1 ص929؛ واستيتي، 2012م، ص130).
(151) ابن حجر، 1992م، ج3 ص99؛ و1969م، ج2 ص408؛ والسخاوي، 1999م، ص147.
(152) الحبشي، 1976م، ص129- 130.

إلى عدن، وهذا كله في الرحلة الأولى، أما في الرحلة الثانية سنة 806هـ/1403م فلم يجده[153]، وكان هذا الجحافي عالما نحويا فقيها بارعا، ومشاركا في الفقه والحديث والفرائض، وقرأ على الشيوخ الكبار[154].

ـ ابن حجر العسقلاني في عدن

وصل ابن حجر العسقلاني إلى عدن قادما إليها من تعز، وبها سمع الحديث عن عبدالرحمن بن حيدر بن أبي بكر الشيرازي الدهقلي المصري ثم الدمشقي التاجر (ت817هـ/1414م) وأجاز له، بعد أن كان قد حدَّثه في زبيد عن ست العرب بنت محمد ابن الفخر[155].

كما لقي فيها أبابكر بن يوسف بن أبي الفتح العدني، رضي الدين ابن المستأذن (ت816هـ/1413م)، وكان قد تعلّم في بلده اليمن، ودخل مصر مرارًا وأخذ عن علمائها، وقرأ على بعض شيوخ ابن حجر فيها، وعُنِيَ بالأدب، ومهر في القراءات، ثم صار خطيب جامع عدن، وفي مدينته عدن سمع ابن حجر من نظمه، ومن نظم القيراطي[156]، باعتبار أنه لازمه، وكتب عنه أكثر ديوانه الذي ابتدأه القيراطي لنفسه. وابن المستأذن أيضا سمع من ابن حجر كثيرا، غير أن ابن حجر وصفه بأنه "لم ينجُب" في العلم، وفي موضع آخَر روى عن بعض أصحابه أنه كان "كثير المجازفة"، هذا وقد كتب عن ابن حجر من تصانيفه (تغليق التعليق)، و(تهذيب التهذيب)، و(لسان الميزان)[157].

كما حدّث في عدن ـ كما يبدو ـ في هذه السنة، بكتابه (تخريج الأربعين النووية بالأسانيد العلية)، الذي بيّضه فيها أيضًا[158]، وهذا يشير إلى عالمية العلماء المسلمين في ذلك الزمان.

وفي عدن أيضا لقي ترحابا كبيرا من صاحب خاله، وهو علي بن يحيى الطائي الصعدي الزيدي، المشهور بـ(ابن جميع) (ت903هـ/1400م)، الذي كان من أعيان التجار في اليمن، والمفوّض إليه أمرُ إدارة عدن ومينائها من قبل السلطان الرسولي، فأكرمه، وذكر ابن حجر أن ابن جميع هذا "كان مُحِبًّا للغرباء، مُفْرِطًا في الإحسان إليهم، مُحَبَّبًا إلى الرعية، اجتمعتُ به وسُرَّ بي كثيرًا؛ لأنه كان صديق خالي قديمًا، وبالغ في الإحسان إليَّ، وكان زيديَّ المعتقَد، لكنه يخفي ذلك، مات في ليلة عيد الفطر وقد جاوز الستين"[159]، وهي إشارة تبين أن ابن حجر كان يتفطّن الرجال، ويعرف حتى مذاهبهم، وأنه رغم معرفته بـ(زيدية) هذا الطائي الصعدي إلا أنه لم يمنعه ذلك من الإغداق عليه بالأوصاف الجميلة التي رآها فيه. وسنرى أثر هذه الرحلات في تسامح ابن حجر في المترجم لهم من أهل المذاهب الأخرى.

لقد أثار وجود ابن حجر العسقلاني في اليمن اهتمام العلماء اليمنيين، فأقبلوا على السماع منه والاستمداد من فوائده، كما أخذ هو عن بعضهم، وطلبوا إليه أن يخرج لهم من مروياته، فخرّج (الأربعين المهذبة) في يوم واحد، وأخذوا عنه (مشيخة الفخر ابن البخاري)، و(المائة العشارية) لشيخه التنوخي، وكتب لنفسه (التقييد) لابن نقطة[160] في خمسة أيام، و(فضل الربيع في فضل البديع)[161] في يومين، وحدّث بكتاب (الحصن الحصين) في الأدعية والذكر لابن الجزري[162]، وبذلك روّج له قبل دخول مصنفه إلى اليمن حتى إذا دخل التفُّوا حوله وسمعه مَنْ بقي منهم من مؤلفه، قال السخاوي: "فحصل للكتاب في البلاد اليمنية بسبب ذلك رواجٌ عظيم، وتنافسوا في تحصيله وروايته، وذلك قبل دخول مصنفه إليهم، ثم دخل وقد مات كثير ممن سمعه على ابن حجر، فسمعه الباقون وغيرهم عليه"[163].

وكما تقدم فقد وصل زبيد بتاريخ ربيع الأول سنة 800هـ، ونجده في ربيع الثاني في تعز، وتوجه بعد ذلك إلى عدن[164]؛ الأمر الذي يشير إلى أنه غادر

---

(153) السخاوي، 1999م، ص783- 787.

(154) البريهي، 1994م، ص195.

(155) ابن حجر، 1969م، ج3 ص44. وست العرب: هي الشيخة المسندة المكثرة، ست العرب بنت محمد، حفيدة الفخر ابن البخاري، المقدسية، الصالحية، توفيت سنة 767هـ/ 1366م (ابن حجر، 1993م، ج2 ص127).

(156) القيراطي هو: إبراهيم بن عبد الله بن محمد، برهان الدين، المصري، مهر في الآداب، وفاق أهل زمانه في الشعر، وكان جاور بمكة، وتوفي بها سنة 781 هـ/ 1379م، وأخذ عنه شيوخ مكة والوافدون عليها، ومنهم ابن المستأذن (ابن حجر، 1993م، ج1 ص31).

(157) ابن حجر، 1992م، ج3 ص101؛ و1969م، ج3 ص23.

(158) السخاوي، 1999م، ص667. والأربعون النووية: هي للإمام محيي الدين بن شرف النووي (ت676هـ/ 1277م)، خرجه ابن حجر بالأسانيد العالية، وبيّضها، وحدث بها في عدن في هذه الرحلة الأولى (عبدالمنعم، 1997م، ج2، ص240).

(159) ابن حجر، 1969م، ج2 ص165- 166.

(160) ابن نقطة هو: أبو الفتح، محمد بن عبد الغني البغدادي (ت629هـ/ 1231م)، من كبار أئمة الحديث والرجال، وكتابه هو: (التقييد لما في الإكمال من الأسماء والأنساب)، استدرك فيه على كتاب "الإكمال" لابن ماكولا (ت475هـ/ 1082م) ما فاته، وحرّر كثيرًا من الأسماء التي وقع فيها اضطراب، وأضاف ما لم يذكره ابن ماكولا.

(161) (فضل الربيع): رسالة لأبي الفتح عثمان بن جني (ت392هـ/ 1001م)، وهو إمام في النحو واللغة والبيان، ألّفها في الدفاع عن علم البديع، وبيان منزلته وأثره في تجميل الكلام.

(162) (الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين)، تأليف الإمام المقرئ المحدّث محمد بن محمد الجزري الدمشقي الشافعي (ت833هـ/ 1332م)، في الأذكار والأدعية المأثورة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مرتب على الأبواب، جامع للأذكار المتعلقة بالأحوال والأوقات (الصباح والمساء، النوم، السفر، دخول المسجد، الأكل والشرب... إلخ).

(163) السخاوي، 1999م، ص149.

(164) السخاوي، 1999م، ص783، 787.

زبيد ولمَّا يسمع كلّ ما سمعه مما تقدم إلا بعد رجوعه إليها من عدن، وذُكِرَ ما يدل على أنه عاد إلى زبيد مبكِّرًا ومكث فيها يسمع ويروي ويفيد ويستفيد، وهناك إشارة تقول إنه كان في شعبان وعيد الفطر سنة 800هـ/ مايو - يونيو 1398م موجودا في زبيد[165]، حتى إذا جاء موسم الحج وأوان سفر الحجاج من اليمن إلى مكة غادر معهم برفقة الأمير محمد بن عجلان الحسني المكي الذي سلك به طريقا غير الطريق المعتادة للحجاج فسلم معه من العطش الذي أصاب الحجاج في تلك السنة، ووصل إلى مكة وحج تلك السنة 800هـ/ 1397م [166].

ويتضح أنه قد عاد من اليمن "وقد ازدادت معارفه، وانتشرت علومه ولطائفه"[167]، والنص المقتبس لتلميذه السخاوي، الذي يؤكد فيه أن شيخه قد ازداد بهذه الرحلة إلى اليمن في معارفه، وهذا هو التأثر الذي حصل لابن حجر، وأنه انتشرت علومه ولطائفه، وهذا هو التأثير الذي حققه في أهل اليمن. ومن الواضح أنه بالفعل ازدادت معارفه وخبراته وعلومه ونضجه، وكذلك ساهم في نشر مصنفاته ومصنفات غيره، ونقلها إلى أهل اليمن، وتوثّقت صلاته وروابطه الثقافية معهم، وانتشر صيته في اليمن قبل أن ينتشر ربما صيته في بلده القاهرة.

ومن الواضح أن ابن حجر لم يصل إلى صعدة وصنعاء وذمار وظفار وغيرها من حواضر العلم في عمق اليمن؛ وذلك لأن تلك المناطق لم تكن تلبي حاجة ابن حجر في ما يتعلق بسماع الحديث وإقرائه، ولا فيما يتعلق بتجارته، ولا شك أن انتماءه المذهبي جعله غير محتاج إلى الوصول إلى مراكز الزيدية، ولكنه كانت تبلغه أخبار تلك المراكز بدليل ترجمته لأعلام كثيرين من علماء الزيدية وأئمتهم، وإنصافه له كما سيأتي.

سادسا: رحلته الثانية إلى اليمن

ـ هدف هذه الرحلة:

كانت رحلته الثانية في سنة 806هـ/1403م بعد أن جاور بمكة بعضًا من تلك السنة، ووصل اليمن في تلك السنة، ولقي فيها العلماء الذين كان قد لقيهم في الرحلة الأولى كما لقي غيرهم، فسمعوا من علمه، واستفاد هو أيضا من علومهم أيضا، غير أنه جابه في هذه الرحلة متاعب جمّة؛ فقد غرق المركب الذي كان يُقِله في البحر الأحمر، وغرقت الأمتعة والكتب والنقد الذي كان يحمله معه؛ ممّا اضطره للانتظار في بعض جزائر البحر في محاولة منه لاسترداد ما يمكن استرداده على يد الماهرين في الغوص في البحر، وقد صالحهم على مالٍ أجرةً لهم، فرجع معظم تلك الكتب، وغرقت كتب أخرى بعضها كان من تصنيفه.

هذا وقد اعتقد ابن حجر أن السبب في غرقه وغرق كتبه في هذه المرة هو إصابته بـ(العين) من أحد رفقته الذي دخل عليه ذات مرة وتعجَّب من كثرة ما في كتبه بخطه[168]، وهو الأمر الذي يشير إلى الثقافة السائدة لدى رحالتنا في مثل هذه الحوادث، وهي أنهم كانوا يعتقدون أنه قد يصاب الإنسان بضرر أو مرض نتيجة نظرة حاسد رآه بعين الحسد.

هذا وقد أَخَذَ عليه بعضُ الظلمة في هذه الرحلة بعضَ النقود ممّا جرت العادة بأخذه من المسافرين، ويشير السخاوي إلى أنّ أموالا طائلة كانت معه تعود لأحد التجار وأعطاه إياها للتبضُّع، وأنها تلفت في تلك السفرة، لكنه تبضّع بالبقية، وأنه حقق أرباحا منها فسلّمها لصاحبها في القاهرة بزيادة على رأس المال[169]؛ وهو ما يبين أن مهمة رحلة ابن حجر هذه المرة لم تكن علمية خالصة، بل كانت رحلة مزدوجة للتجارة وللعلم، وليس للتجارة لنفسه فقط بل حتى للآخرين، كما تشير إلى أهمية اليمن التجارية والعلمية آنذاك، وتبين أيضا أنه واجه مصاعب جمّة ومؤلمة في هذه الرحلة التي لم تكن موفّقة كسابقتها.

ويتبين من خلال قصيدته التي امتدح بها الناصر أحمد ابن الأشرف إسماعيل الرسولي أنه قد أصابه حزنٌ شديد على ماله الذي بعضُه نُهِبَ، وبعضُه غرق، وأنه يمّم وجهه نحو السلطان لينجده بجاهه، شاكيا ما كان قد نُهِبَ من مالٍ له في الشام عند دخول التيمورلنكية[170] إليه، وما ناله من ابن عجلان أمير مكة[171]، ومما قاله له وأثنى به عليه قوله:

الناصر الملك ابن الأشرف المعرو *** ف عرفا بمفضالِ ابنِ مفضال

أوعى الملوك هدىً أوهى الملوك عِدىً أوفى الملوك ندىً في الحال بالحال

---

(165) السخاوي، 1999م، ص1093.

(166) ابن حجر، 1969م، ج2 ص126.

(167) ابن حجر، 1992م، ج1 ص540؛ والسخاوي، 1999م، ص150.

(168) السخاوي، 1999م، ص151.

(169) السخاوي، 1999م، ص151-152.

(170) هم جيش تيمور لنك المغولي، الذي وحَّد بين القبائل المغولية والتركمانية، وأسَّسَ امبراطورية امتدت من تركستان إلى الهند، وإيران، والعراق، والشام، وأجزاء من آسيا الصغرى (تركيا)، واشتهر بمجازره الفظيعة التي ارتكبها في بغداد وبلاد الشام، وكان قد احتل الشام في سنة 803هـ/ 1400م، وارتكب فظائع لا توصف، ونهب أموالا كثيرة (ابن حجر، 1969م، ج2 ص132- 140).

(171) حسن بن عجلان بن رميثة، الحسني، ولي أمر مكة سنة 797هـ/ 1394م، واستمر حتى وفاته سنة 829هـ/ 1425م (ابن حجر، 1969م، ج3 ص376).

يا كعبة طفْتُ في تعظيم حرمتها مكبّرًا قدرَها العالي بإهلال
أزورها مُحْرِمًا من غيرها فإذا حللْتُ بُدِّل إحرامي بإحلال
كانت أيادي المليك الأشرف اشتملت على يدٍ بالندى من غير تسآل
قد ضعضع الدهر حالي عندما نُهِبَتْ *** بالشام أيام تيمورلنك أموالي
وبعدها بلغت مني الحوادثُ من *** يد ابن عجلان ما لاقاه أمثالي
مالٌ تمزّق في نهب وفي غَرَقٍ *** إن مات مالي سألقى منك آمالي

وهكذا رغم اعتقاد ابن حجر انحراف السلطان الناصر الرسولي[172] إلا أنه اضطر للتزلف إليه في شعره بهذا الشكل، وبأنه أوعى الملوك هُدىً، وأوهاهم عِدى، ودعا له بالبقاء في العزة والسعادة[173]؛ الأمر الذي يكشف نكبة كبيرة وقعت له اضطرّته لمثل هذا الخضوع لينال مما في يد السلطان، ويعوض عن خسائره المتراكمة، ولعله كان قد طرح مالا في دمشق عند رحلته إليها في آخر سنة 802هـ/ 1399م للتبضع والاستثمار به، ولما دخل التتار التيمولنكية دمشق سنة 803هـ/ 1400م واستباحوها وما فيها من أموال نهبوا أمواله أيضا، أضف إلى ذلك أن ثقافة الخضوع للحكام الظلمة كانت سائدة في البيئة التي نشأ وعاش فيها ابن حجر العسقلاني.

وقد أشار السخاوي[174] إجمالا إلى أن ابن حجر قد لقي في اليمن في هذه الرحلة من لقيهم في الرحلة الأولى وغيرهم، وأنه حمل عنهم وحملوا عنه. غير أنه يمكن القول بأن الباحث لم يطلع على ما يبين مدة هذه الرحلة ومسارها، غير إشارة واردة لدى السخاوي[175] بأنه مكث في عدن ما يزيد على الثلاثة الأشهر.

لقد نص ابن حجر على بعض شيوخ وعلماء اليمن الذين لقيهم في الرحلتين الأولى والثانية، ومنهم النفيس العلوي، الذي لقيه كما يبدو في المرة الثانية في تعز، وهناك إشارات تدل على أنَّ من لقيهم في المهجم[176] أنه لقيهم في هذه الرحلة الثانية وليس في الأولى، وهم أحمد بن إبراهيم القوصي المصري ثم اليمني الشافعي، الذي نشأ باليمن، وناب عن الشيخ مجد الدين الفيروآبادي في بعض بلدانها، وسمع عليه ابن حجر حديثًا في البلدانيات[177]، وحج معه سنة 806هـ/1403م[178].

ولقي كذلك علي بن أحمد الصنعاني الذي أنشده قصيدة رثى بها إبراهيم بن عمر بن علي، برهان الدين المحلي التاجر، وذكر فيها ولده شهاب الدين، فمات في تلك السنة بعد أبيه، أي في سنة 806هـ/1403م، وقال في أول تلك القصيدة:

هي المنايا فلا تبقي على أحد ... لا والد مشفق بر ولا ولد

قال ابن حجر: "ومن العجائب أن الشهاب مات في تلك السنة، أعني سنة ست، فمات الوالد والولد"[179].

وفي هذه الرحلة لقي المجد الشيرازي مرة أخرى، وفيها كَتَبَ له المجدُ تقريظًا على كتابه (تغليق التعليق) في الحديث، وقد عظّم المجد الشيرازي هذا الكتاب جدا؛ إذ وصل فيه ابن حجر معلَّقات صحيح البخاري من الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة، وحكم عليها صحة وحسنا وضعفا، وبوّبها على أبواب الأصل، وقد أكمله سنة 803هـ/1400م، ثم بيّضه سنة 807هـ/1404م، وعلى هذا الأساس فلا يمكن أن يكون هذا التقريظ إلا في الرحلة الثانية[180].

كما لقي بعدن تلميذه الشيخ محمد بن عبدالرحيم بن عبدالكريم، عفيف الدين بن الشرف الجِرهي الشيرازي الشافعي (ت839هـ/1435م) سنة 806هـ/1403م، وقرأ عليه (مسند الشافعي)[181] و(البردة)[182]، و(الأربعين النووية)، ولازمه ثلاثة

---

(172) وصفه بأنه كان جائرا فاجرا. (ابن حجر، 1969م، ج3 ص331).
(173) ابن حجر، 1962م، ص43-44، 46، 47، 48.
(174) السخاوي، 1999م ص151.
(175) السخاوي، 1999م ص1147.
(176) مدينة تهامية إلى الشرق من مدينة الزيدية، كانت عاصمة تهامة الشمالية، جدّد المظفر الرسولي جامعها الكبير سنة647هـ (المقحفي، 2002م، ج2 ص1671).
(177) هي مجموعة أحاديث يرويها مؤلفها عن شيوخ توزعوا في البلدان، فتكون كل رواية تمثل بلدا من البلدان، ومنها (الأربعون البلدانية) لابن عساكر.
(178) ابن حجر، 1992م، ج3 ص21؛ والسخاوي، 1999م، ص148.
(179) ابن حجر، 1992م، ج3 ص177؛ والسخاوي، 1992م، ج5 ص191. هذا وقد توهم الباحث كمال الدين في التاريخ والمنهج التاريخي ص123 أن الصنعاني توفي سنة 806هـ، والواقع أنه لا تاريخ لوفاةٍ ورد لدى مصدره ابن حجر في المجمع ولا السخاوي في الضوء اللامع يشير إلى ذلك، والتاريخ الذي جاء في تلك الترجمة هو تاريخ لقاء ابن حجر بالصنعاني، ووفاة شهاب الدين ابن التاجر برهان الدين المحلي فقط. (ابن حجر، 1992م، ج3 ص177؛ والسخاوي، 1992م، ج5 ص191، وليس فيه شيء زيادة على ما في المجمع المؤسس).
(180) السخاوي، 1999م، ص665.
(181) هو مسند الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت204هـ/ 820م). مطبوع.
(182) البردة اسمها: الكواكب الدرية في مدح خير البرية، تقع في حوالي 160 بيتا، في مدح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أنشأها شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري توفي سنة 695هـ / 1296م. وهي مطبوعة.

أشهر هناك، ثم لقيه في مكة سنة 815هـ/1412م فقرأ عليه كُتُبًا أخرى أيضا[183].

ولما عاد من هذه الرحلة إلى مكة أنزله بالمدرسة الأفضلية قاضي مكة المحب ابن ظهيرة، وأتيح له أن يلقى بها عددا كبيرا من العلماء[184]، ولعل هذا بإشارة من سلطان اليمن وتوصيته بأن ينزل في المدرسة التي بناها الأفضل الرسولي رعاية لحق العلماء، وهذا ما يشير إلى اهتمام السلطان بابن حجر إلى مستوى كبير.

ـ ابتداء تأليف كتابه (المجمع المؤسِّس للمعجم المفهرِس) في عدن:

إن ما يجدر ذكره هو أن ابن حجر في هذه المرة ابتدأ جمع كتابه (المجمع المؤسِّس للمعجم المفهرِس) في عدن، رغم أنه ذكر أنه أكمل مسودة الجزء الأول وبيّضها سنة 819هـ/1416م في القاهرة، ثم ذكر في آخر الكتاب أنه فرغ منه سنة 829هـ/1425م، ثم ألحق به أنه فرغ منه في سنة 832هـ/1428م[185].

ويبدو بالشروع في تأليفه في عدن أنه أحس مقاربته لاستيعاب كلّ شيوخه الذين طمح في اللقاء بهم في العالم الإسلامي، ويشير إلى أن جوّ مدينة عدن كان جوًّا علميا مشجعا على التأليف والإبداع.

أما موضوع كتابه هذا (المجمع المؤسِّس) فهو يدور حول فكرة تدوين أسماء شيوخه وأخبارهم ومؤلفاتهم وما روى عنهم، وقد قسمه إلى قسمين؛ قسم لمن حمل عنهم بطريق الرواية، وقسمٌ لمن أخذ عنهم على طريق الدراية، أو على طريق المذاكرة، وذكر في ترجمة كلٍّ منهم جميع ما سمعه عنه أو قرأه عليه.

المبحث الثالث: دراسة وتحليل الرحلتين وأثرهما في كتابته عن اليمنيين

بعد عرض رحلتي ابن حجر إلى اليمن فإنه من المنطقي الوقوف عند أبرز عناصرها للدراسة والتحليل وإبراز التأثير المتبادل، وأبرز تلك العناصر هي: مجمل النشاط الذي نفذه ابن حجر في اليمن، وأثر رحلتيه على كتاباته التاريخية عن الزيدية في اليمن.

أولا- عرض مختصر لرحلتي ابن حجر العسقلاني في اليمن ونشاطاته فيهما:

لقد أفاد ابن حجر من رحلتيه إلى اليمن لقاء أبرز شيوخها من العلماء والذين كانوا في المهجم وزبيد وتعز وعدن، وعلى رأسهم إمام اللغة المجد الشيرازي، والمحدث النفيس العلوي، والشاعر الفقيه أبي بكر المقري، والفقيه الخياط، ورواد الصوفية الاتحادية كالجبرتي والرداد، واطّلع عن كثب على مُجْمَل الوضع العلمي والفكري والاجتماعي والسياسي في اليمن، وكان له أثره الواضح في نضج كتاباته التاريخية عن اليمن، وعن حياة العلم بها، وعن مذاهبها، وعن صراع المتصوفة والفقهاء فيها، وربطته علاقات جيدة بالسلاطين الرسوليين، واكتسب شعبية كبيرة لديهم جعلتهم يرشحونه لمنصب قاضي الأقضية في اليمن.

ويبدو أن اليمن كانت بيئة مناسبة للإنتاج العلمي؛ فقد أنجز بعض الرسائل والتخريجات، وشرع في كتابة كتابه الحافل (المعجم المؤسس) الذي يعتبر من أهم كتبه التاريخية التي تُعْنى برجال الحديث ولا سيما شيوخه، كما تتلمذ على شيوخ الحديث في اليمن، وعقد بنفسه حلقات العلم فيها حيثما حل في مدنها، وقرأ عليه بعض الطلاب كتبا وأجزاء، خلا تلك المناقشات والمطارحات الأدبية التي كان يتناولها مع العلماء أينما وجدهم.

ويتضح أنه كان يسير في ذات الاتجاه الذي استأثر به وهو الاتجاه الحديثي وما يتعلق به من التاريخ، ويبدو أنه كان يعلم أن اليمن لم تكن من البلدان التي تكتنز في طياتها أحاديثَ أكثرَ مما في مصر والشام، ولكنه أراد الاستقصاء، ويترجّح أنه كان له غرض آخر في هذه الرحلة وهو الغرض التجاري، ومع ذلك فيبدو أن نشاطه العلمي بصورة عامة كان مقيّدًا؛ وذلك بسبب قلة المرويات الحديثية في اليمن، وربما شغله أيضا الجانب التجاري في رحلاته عن التوفر الكامل للعلم، وبالتالي يمكن القول بأن نشاطه العلمي لم يكن متناسبا والحالة العلمية في اليمن.

ومن المرجّح جدا أن الاختلاف المذهبي هو ما حمله على تجنب الوصول إلى المراكز الزيدية في صعدة وصنعاء وذمار؛ إذ لن يجد بغيته الحديثية لديهم.

ومهما يكن من أمر فقد ظل اليمنيون يحتفظون بهذه الذكرى الحسنة له، وبلغت وجاهته الاجتماعية عندهم مبلغا جعل سلطان مصر يطلب منه أن يسفر له إليهم، وكانت كتبه محط اهتمامهم، واعتنى حتى حكامهم بتحصيلها، وعلماؤهم بنقاشِ ما فيها[186].

غير أن اللافت أن المصادر اليمنية المعاصرة لم تتحدث عن رحلتي ابن حجر العسقلاني إلى اليمن؛ فهذا الخزرجي – على سبيل المثال - لم يذكره في أيٍّ من مؤلفاته رغم تأكيد ابن حجر لقياه معه، ورغم أنه

(183) السخاوي، 1999م، ص1147.
(184) السخاوي، 1999م، ص153.
(185) ابن حجر، 1992م، ج12 ص582، ج3 ص369.
(186) السخاوي، 1999م، ص652- 653، 689؛ والشوكاني، د.ت، ج1 ص309.

وصل في كتابه العقود اللؤلؤية إلى سنة 803هـ/1400م، وكان ينبغي للخزرجي ذكر رحلة ابن حجر العسقلاني الأولى، لا سيما وقد ذكر وصول الهدية المصرية إلى زبيد في شهر صفر من سنة 800هـ/ 1397م، وكذلك لم يذكره عند ذكر انطلاقة المحمل اليمني الذي ذهب للحج ومعهم ابن عجلان في حوادث تلك السنة أيضا، وكان ابن حجر معهم أيضا.

وقد قلنا: إن ذلك لعله نتيجة لقائه ابن حجر وهو لا يزال طالب علم مغمورا غير مشهور، وأنه لم يحظ بالشهرة إلا بعد وفاة مؤرّخنا الخزرجي.

ثانيا-أثر رحلتي ابن حجر إلى اليمن عن كتاباته عن الزيدية:

ساهمت الرحلتان فيما يبدو في التأثير على ابن حجر وكتاباته عن الزيدية ولا سيما في اليمن بشكل إيجابي، وعلى النحو التالي:

أولا: نقلت الرحلتان (800هـ و806هـ) ابن حجر من أخبارٍ منقولة إلى خبرةٍ مباشرةٍ بالبيئة الزيدية في أعالي اليمن وعلاقتها بمركز الرسوليين في التهائم. وهذه المعايشة:

-روّضت لغته التقييمية: حيث اتّجه في تراجم أعيان الزيدية إلى صفاتٍ موضوعية (عقل، عدل، علم) بدل قوالب الخصومة المذهبية. انظر مثلًا وصفه للإمام الناصر صلاح الدين بأنه كان: «كان فاضلًا عالمًا عادلًا»، مع تفصيل إنجازه العسكري ومساراته السياسية[187]. على الرغم من أن هذا الإمام كان يخوض صراعا عنيفا مع الدولة الرسولية؛ الأمر الذي جعل مؤرخيها يحملون عليه حملة شعواء.

-كشفت له حساسية الاجتماع والسياسة: فهو يذكر عن ابن جُمَيع التاجر المعظَّم عند الناس بأنه: «كان زيديّ المعتقد لكنه يخفي ذلك»[188]؛ وهي صياغة تُظهر وعيه بتعقيد الهوية المذهبية في فضاءٍ تحكمه سلطة سنّية رسوليّة ورقابة اجتماعية.

-أمدّته بمادةٍ سردية دقيقة: أسماء، وقائع، تواريخ، وألفاظ محلية؛ فصار يكتب عن الزيدية بوصفهم جزءًا من بنية اليمن والأمة وليسوا مجرد مخالفين.

-أعطته خبرة كشواهد في تأويل الحديث السياسي: ففي شرحه لحديث «لا يزال هذا الأمر في قريش»، استدلّ ابن حجر في كتابه فتح الباري[189] على استمرار الحكم "القرشيّ" السياسي في اليمن؛ حيث قال: «فَإِنَّ بِالْبِلَادِ الْيَمَنِيَّة وَهِيَ النُّجُود مِنْهَا طَائِفَة مِنْ ذُرِّيَّة الْحَسَنِ بْن عَلِيّ لَمْ تَزَلْ مَمْلَكَة تِلْكَ الْبِلَاد مَعَهُمْ مِنْ أَوَاخِر الْمِائَة الثَّالِثَة ، ... ، فَبَقِيَ الْأَمْر فِي قُرَيْش بِقُطْرٍ مِنْ الْأَقْطَار فِي الْجُمْلَة، وَكَبِير أُولَئِكَ أَيْ أَهْل الْيَمَن يُقَال لَهُ الْإِمَام، وَلَا يَتَوَلَّى الْإِمَامَة فِيهِمْ إِلَّا مَنْ يَكُونُ عَالِمًا مُتَحَرِّيًا لِلْعَدْلِ».

وهو هنا لا يمنع من إطلاق وصفٍ جريءٍ على مخالفيه في المذهب مثل (عالم، متحر للعدل)، ولا ينكر نسبهم الشريف، مقارنة بما يحصل في زمننا هذا من كون الخلاف السياسي جعل بعض الخصوم يطلقون اتهامات خطيرة على خصومهم، وبلغ بهم الحال إلى إنكار أنسابهم، والطعن في أسلافهم الصالحين.

هذا المقطع في فتح الباري يكاد يكون أقوى شهادةٍ سنّيةٍ تاريخيةٍ تُثبت لِزَعامة الزيدية في اليمن وظيفةً إماميةً قرشيّةً بمعايير العلم والعدل؛ وهو تقرير لا يخرُجُ به ابنُ حجر إلى تبنّي النظرية الزيدية، لكنه يعترف بشرعية وظيفية–تاريخية تُسنِدها المعاينة لا السجال النظري.

خلاصة الأمر أن رحلتيه إلى اليمن رسّخت في ذهنه منظورًا تاريخيًّا واقعيًّا عن المذهب الزيدي وأئمته وعلمائه وأعلامه في اليمن، ومن هنا جاءت قيمة الرحلتين في إنضاج كتاباته عن الزيدية وتحريرها من أحادية الجدل المذهبي الضيق إلى رحابة التاريخ الواسع.

خاتمة:

أولا- النتائج

توصل البحث إلى عدد من النتائج، أبرزها:

1-أن الدافع للرحلتين كان دافعا مزدوجا، فهو نزوعٌ حديثيٌّ واعٍ لطلب العلوّ في الإسناد وتكثير الشيوخ على طريقة شيخه الزين العراقي، وهو داعٍ تجاري بدا أوضحَ في الرحلة الثانية، وتجلّى في حادثة غرق الكتب والمال.

2-أن البيئة اليمنيّة كانت جاذبة ومتنوّعة، فالمشهد السياسيّ المنقسم بين الرسوليّين والأئمة الزيديّة، والحياة العلميّة النشطة، من مدارس، وأوقاف، ومكتبات، مع صراعٍ فكري حدّي بين الصوفيّة الاتحاديّة والفقهاء؛ هذا التنوع منح ابن حجر مادةً حيّة للملاحظة والمقارنة.

3-لقد كان مسار رحلتيه مُنتقىً مخطَّطًا له؛ حيث اقتصر على المهجم وزبيد ووادي الخصيب وتعز وعدن؛ لأنها مرافئُ العلم والكتب والرعايات والمدارس الحديثية والسنية، والتي تتقاطع مع خطوط التجارة والحج أيضا، وتُلبّي هدفيه الحديثي والتجاري أيضا، وقد تجنّبَ حواضر الزيدية الداخليّة مثل صنعاء

[187] ابن حجر، 1969م، ج1 ص161.

[188] ابن حجر، 1969م، ج1 ص262.

[189] ابن حجر: 2001م، ج13 ص117.

وصعدة؛ لعدم مواءمتها مباشرةً لمقاصده الحديثيّة وميلِه المذهبي ومقصده التجاري أيضا.

4-حصل ابن حجر على شبكات علماءٍ وتأثير متبادل؛ فقد التقى المجد الفيروزآبادي وقرأ عليه واستجاز منه في كتابه (القاموس المحيط)، وكتب له تقريظا على (تغليق التعليق)، والتقى الشيخ المحدث نفيس الدين العلوي، وسمع كل منهما عن الآخر، وخرّج بطلبه كتاب (الأربعين المهذّبة)، ولقي كلا من المقري وابن الخياط والشرجي والخزرجي من كبار علماء اليمن، وأهدى كتاب (خريدة القصر) مع (تذكرته الأدبية) لسلطان اليمن الرسولي، ومن هنا نشأت علاقاتُ تدريسٍ وإجازةٍ ونقدٍ ورعاية وجرحٍ وتعديلٍ لا مجاملةَ فيها، قابلَها اليمنيّون بتتلمذٍ عليه ورواجٍ وترويج كتبه.

5-كان لابن حجر إنتاجٌ وتأليفٌ يمنيّ المنشأ، حيث ابتدأ ابن حجر في عدن تأليف كتابه (المجمع المؤسِّس)، وكأنه شعر باستكمال خارطة شيوخه الموزّعين في الأمصار، ثم أملى وخرّج نصوصًا كـ(الأربعين النووية)، وأسمع كتاب (الحصن الحصين)، ودرّس أجزاءً عالية، ونقل كتبًا ونسخًا؛ ليتبين أن اليمن كانت فضاءَ إنجازٍ لا مجرّد محطة عبور.

6-ساهمت الرحلتان في تنضيج نظرته للزيدية تاريخيًا؛ حيث استشهد في كتابه (فتح الباري) بإمامة الزيدية في صعدة مثالًا معاصرًا على تحقق قرشية الإمامة مع العلم والعدل؛ وقدّم تراجم زيديّة على أساس الكفاءة والسلوك لا اللقب المذهبي.

7-شكّل ابن حجر جسرا علميّا بين مصر واليمن، فقد أدخل إلى اليمن نصوصًا ومناهج وأسانيد، ومنَحَ وأخذ إجازاتٍ، وروّج لمصنّفات (الحصن الحصين) نموذجًا، وعاد إلى مصر بمخبَرٍ يمنيّ ثريّ: أخبار، تراجم، طبقات، خرائط علاقات، ما رفع دقّة مادّته التاريخيّة.

هذه الخلاصة تُبرز أن اليمن لم تزوّد ابنَ حجر بمروياتٍ فقط، بل زوّدته بما هو أثمن: منظورٌ تاريخيّ عمليّ أعاد بفضله تركيبَ مادّته الحديثيّة والتاريخيّة، وأضفى على كتاباته توازنًا بين الاعتراف الواقعي والالتزام المنهجي.

ثانيا- التوصيات:

يوصي البحث بالتوصيات التالية:

1-إجراء تحقيق نقديّ لقضية «شغور قضاء الأقضية» في اليمن الذي ادّعاه ابن حجر والسخاوي، بمقابلة روايات ابن حجر والسخاوي مع الروايات والأخبار اليمنية لترجيح سلسلةٍ زمنية موثقة وإبراز مواضع الوهم أو المبالغة.

2-بناء معجم تراجمي–إسنادي، يتضمن قاعدة بيانات للأعلام الذين لقيهم في اليمن (زيديّون، شافعية، صوفيّة، تجار، قضاة،...)، تتضمن التخصص، الموقع، نوع الصلة، تواريخ السماع والإجازة.

3-إجراء دراسة مقارنة لما كتبه ابن حجر عن الزيدية في اليمن، وما يكتبه المتعصبون اليوم، وإبراز حالات الوفاق، وحالات الخلاف، وأسباب ذلك، والدروس والعبر المستفادة من ذلك.

4-تنفيذ دراسات عن العلاقات اليمنية المصرية التاريخية والحضارية وأثرها على البلدين، ودراسة التأثير المتبادل، والاستفادة من ذلك في رسم العلاقة المعاصرة بين البلدين الشقيقين.

المصادر والمراجع

أولا- المخطوطات:

[١] المرتضى، الحسن بن أحمد بن يحيى ت840هـ (1071هـ): كنز الحكماء وروضة العلماء، صنعاء: مكتبة الأوقاف، برقم 2376، 84 ورقة، تاريخ النسخ 1071هـ.

[٢] الوزير، الهادي بن إبراهيم ت822هـ (997هـ): كاشفة الغمة عن حسن سيرة إمام الأمة، محفوظ في مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، 193 لقطة، تاريخ النسخ 997هـ.

ثانيا- المصادر:

[٣] الأهدل، الحسين بن عبد الرحمن ت855هـ (2004): تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، ت. عبد الله محمد الحبشي، ط1، أبوظبي: المجمع الثقافي.

[٤] الجندي، محمد بن يوسف ت732هـ (1993): السلوك في طبقات العلماء والملوك، ت. محمد بن علي الأكوع، ط1، صنعاء: مكتبة الإرشاد.

[٥] حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله ت1067هـ (د.ت): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

[٦] ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي ت852هـ (1969): إنباء الغمر بأبناء العمر، ت. حسن حبشي، القاهرة: دار الكتب.

[٧] ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي ت852هـ (1985): تغليق التعليق على صحيح البخاري، ت. سعيد القزقي، ط1، بيروت: المكتب الإسلامي وعمان: دار عمار، 1405هـ.

[٨] ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي ت852هـ (1993): الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ت. سالم الكرنكوي الألماني، بيروت: دار الجيل.

[٩] ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي ت852هـ (1962): ديوان العلامة المحدث الإمام الشيخ أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ت. السيد أبو الفضل، حيدر آباد: المكتبة العربية، 1381هـ.

[١٠] ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي ت852هـ (1998): رفع الإصر عن قضاة مصر، ت. علي محمد عمر، ط1، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1418هـ.
[١١] ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي ت852هـ (2001): فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ت. عبد القادر شيبة الحمد، ط1، 1421هـ.
[١٢] ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي ت852هـ (3002): لسان الميزان، ت. عبد الفتاح أبو غدة، ط1، بيروت: مكتبة المطبوعات الإسلامية، 1423هـ.
[١٣] ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي ت852هـ (1992): المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، ت. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1413هـ.
[١٤] ابن حنبل، أحمد بن حنبل ت241هـ (1999): مسند الإمام أحمد، ت. شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420هـ.
[١٥] ابن أبي الرجال، أحمد بن صالح ت1092م (2004): مطلع البدور ومجمع البحور، ت. عبد الرقيب حجر، ط1، صعدة: مكتبة أهل البيت، 1425هـ.
[١٦] الخزرجي، علي بن الحسن ت812هـ (1914): العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ت. محمد بسيوني عسل، مصر: مطبعة الهلال، 1332هـ.
[١٧] الخطيب البغدادي، أحمد بن علي ت463هـ (1403): الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ت. محمود الطحان، ط1، الرياض: مكتبة المعارف.
[١٨] ابن خلدون، عبد الرحمن ت808هـ (2001): مقدمة ابن خلدون، ت. خليل شحادة، دمشق: دار الفكر.
[١٩] الزحيف، محمد بن علي بن يونس ت بعد 916هـ (2002): مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار، ت. عبدالسلام الوجيه، ومحمد قاسم المتوكل، ط1، صنعاء: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية.
[٢٠] زيد بن علي ت122هـ (د.ت): مسند الإمام زيد، بيروت: دار الكتب العلمية.
[٢١] السخاوي، محمد بن عبد الرحمن ت902هـ (1999): الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، ت. إبراهيم باجس عبد المجيد، ط1، بيروت: دار ابن حزم، 1419هـ.
[٢٢] السخاوي، محمد بن عبد الرحمن ت902هـ (1992): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ط1، بيروت: دار الجيل، 1412هـ.
[٢٣] ابن سعد، محمد بن سعد ت230هـ (1968): الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، ط1، بيروت: دار صادر.
[٢٤] الشرجي، أحمد بن أحمد الزبيدي ت893هـ (1986): طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، ط1، صنعاء: الدار اليمنية، 1406هـ.
[٢٥] الشوكاني، محمد بن علي ت1250هـ (د.ت): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.
[٢٦] ابن القاسم، إبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله ت1152هـ (2001): طبقات الزيدية الكبرى، ت. عبدالسلام الوجيه، ط1، صنعاء: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية.
[٢٧] القاسم بن محمد، الإمام القاسم بن محمد بن علي ت1029هـ (1436هـ): الأساس لعقائد الأكياس، ط2، صعدة، مكتبة أهل البيت (ع).
[٢٨] القنوجي، صديق بن حسن ت1307هـ (1978): أبجد العلوم، ت. عبد الجبار زكار، دمشق: وزارة الثقافة.
[٢٩] المقريزي، أحمد بن علي ت845هـ (2002): درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، ت. محمود الجليلي، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1423هـ.
[٣٠] المقريزي، أحمد بن علي ت845هـ (1997): السلوك لمعرفة دول الملوك، ت. محمد عبد القادر عطا، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ.
[٣١] المقريزي، أحمد بن علي ت845هـ (1998): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ت. محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، القاهرة: مكتبة مدبولي.
[٣٢] يحيى بن الحسين، يحيى بن الحسين بن القاسم ت1100هـ (1968): غاية الأمانة في أخبار القطر اليماني، ت. سعيد عاشور، د. ط، القاهرة، دار الكتاب العربي.

ثالثا- المراجع:

[٣٣] أحمد، أحمد عبد الرزاق (1979): البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك: دراسة عن الرشوة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
[٣٤] أحمد، محمد عبد العال (1989): بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما (628-923هـ/1231-1517م)، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
[٣٥] الحبشي، عبد الله محمد (1980): حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول، ط2، صنعاء: وزارة الإعلام والثقافة.
[٣٦] الحبشي، عبد الله محمد (1976): الصوفية والفقهاء في اليمن، صنعاء: مكتبة الجيل الجديد.
[٣٧] الحبشي، عبد الله محمد (2004): مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، ط1، أبوظبي: المجمع الثقافي.

[٣٨] سارجنت، ر. ب (د.ت): التجار والتجارة في اليمن من القرن 13م إلى القرن 16م، ضمن كتاب: دراسات في تأريخ اليمن الإسلامي، صنعاء: المعهد الأمريكي للدراسات.
[٣٩] سارجنت، ر. ب (د.ت): مينائي [ميناءا] عدن والشحر في العصر الإسلامي الوسيط، ضمن كتاب: دراسات في تأريخ اليمن الإسلامي، صنعاء: المعهد الأمريكي للدراسات.
[٤٠] عبدالمنعم، شاكر محمود (1997): ابن حجر العسقلاني: مصنفاته ودراسة في منهجه وموارده في كتابه الإصابة، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة.
[٤١] علي، محمد كمال الدين عز الدين (1984): التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلاني، ط1، بيروت: دار اقرأ.
[٤٢] فتاح، عرفان عبد الحميد (1993): نشأة الصوفية وتطورها، ط1، بيروت: دار الجيل.
[٤٣] الفيفي، محمد بن يحيى (2005): الدولة الرسولية في اليمن: دراسة في أوضاعها السياسية والحضارية (813-827هـ/1400-1424م)، ط1، بيروت: الدار العربية للموسوعات.
[٤٤] محمد، سعاد ماهر (1983): مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
[٤٥] مدكور، عبد الحميد (د.ت): موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
[٤٦] المعجم الفلسفي، إعداد مجموعة باحثين (1983): المعجم الفلسفي، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.

رابعا- رسائل الماجستير والدكتوراه:

[٤٧] الأهنومي، حمود عبد الله (2014): الحياة العلمية في القاهرة في القرن الثامن الهجري من خلال الكتابات التاريخية لابن حجر العسقلاني، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة صنعاء، اليمن.
[٤٨] العبادي، عبد الله قائد حسن (1995): الحياة العلمية في مدينة زبيد في عهد الدولة الرسولية (626-858هـ/ 1228-1454م)، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

خامسا- الأبحاث المنشورة:

[٤٩] إستيتي، مهند (2012): كتب فقه الشافعية، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، المجلد 20، العدد 1، ص111- 145.
[٥٠] حميش، عبدالحق أحمد (2005): مصطلحات الألقاب عند فقهاء المذاهب الأربعة، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الكويت، المجلد 20، العدد 60، ص271 – 355.
[٥١] الشجاع، عبد الرحمن عبد الواحد (2009): من ملامح الوجه الحضاري لليمن: "الاتجاهات الثقافية في اليمن في عصر الدولة الرسولية (626-858هـ/1229-1454م)"، مجلة الجيل الجديد، العدد1، ص471-474.